من كلام الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابي العباس
احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني في اثناء كتابه المسمى
بالاسئلة المصرية في الاعتراضات على الفتيا الحموية فيما يتعلق ببيان
الحق الصريح في الاستدلال باحاديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث اشار المعترض في اعتراضاته الى القدح في
ذلك الموطن بانها اخبار لا تفيد العلم بل يفيد الظن
وذكر وجوها عن الاعتراضات بمقتضى علمه
واجتهاده في هذا الموضع ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تم

ملك الفقير صالح بن محمد
الغلالي العربي
المسوفي

البداية

كوم الركاب وكل طرف سابح فهذا البعض ما يتعلق بكون الاحاديث والاثار
موافقة للقرآن ومفسرة له واما الطريق الثاني وهو بيان وجوب قبول الاخبار
الصحيحة فنقول اما قوله هذه الاخبار احاد لا تفيد العلم بل تفيد الظن كما عرف
في الاصول فنقول الاخبار في هذا الباب وهو باب الامور الخبرية والعلمية
ثلثة اقسام احدها ما تواتر لفظا ومعنى والثاني مستفيض متلقى بالقبول
والثالث خبر الواحد العدل الذي يجب قبوله اما الاول فمثل الاحاديث الواردة
في عذاب القبر وفتنته وفي الشفاعة وفي الحوض ونحو ذلك فان هذه متواترة في
باب الامور الخبرية كتواتر الاحاديث الواردة في فرض الزكاة والصوم والصلوة
والحج والمساكن وفي رجم الزاني وفي نصاب السرقة ونحو ذلك وابلغ منها الاحاديث
الواردة في رؤية الله تعالى في الاخرة وعلوه على العرش واثبات الصفات له فانه
ما من باب من هذه الابواب الا وقد تواتر فيها المعنى المقصود عن النبي صلى الله عليه
وسلم تواترا معنويا لنقل ذلك عنه بعبارات متنوعة من وجوه كثيرة يمتنع بمثلها
في العادة التواطؤ على الكذب او وقوع الغلط والخطا فيه الا على الامر الكذب المحض
عمدا او من جهة خطاء فاذا كانت القاعدة البشرية والعادة الخاصة المعروفة
من حال سلف هذه الامة وخلفها تمنع التواطؤ والتشاعر على الاتفاق على الكذب
في هذه الاخبار وتمنع في العادة وقوع الغلط فيها افادة العلم اليقيني بخبرها
وللناس بخبر التواتر طريقان منهم من يقول هو ضروري فنحن نستدل بحصول
العلم الضروري على حصول التواتر الموجب له والامر هنا كذلك فانه ما من
عالم بهذه الاحاديث ويطرقها ونقلتها سمعها كلها او الاكثر منها علما ضروريا
لا يمكنه دفعه عن نفسه اعظم من علم عموم الناس بشجاعاتهم وشجاعة
عنترة وعدد اكسرى وحرب البسوس ونحو ذلك من الامور المتواترة عندهم من
جهة المعنى بل هذا عند اهل الحديث ابلغ من العلم بوجود بقراط وجالينوس
عند الاطباء وسيبويه عند النحاة بل هذا عندهم ابلغ من العلم بمشهور مذاهب
الائمة عند اتباعهم كما يعلم اصحاب ابي حنيفة ان مذهبه ان اللمس لا ينقض
الوضوء وان المسلم يقتل بالذمي وانه لا يحلف المدعين وانه يقول بالاستحسان
في مواضع ويعلم اصحاب مالك ان مذهبه سد الذرايع واتباع مذاهب اهل
المدينة ونحو ذلك ويعلم اصحاب الشافعي ان مذهبه اتباع الخبر الصحيح و

تقديمه على القياس والعمل وانه لا يقبل المسلم بالذمي وانه اخذ عن ملك
ونحوه ونعلم اصحاب احمد انه كان معظما لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحديث في اصوله وفروعه وانه كان يقول بفقه اهل الحديث ويقدمه على القياس والعمل
ونحو ذلك فتواتر العمل بما ذكرناه عن النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل العلم
بحديثه اعظم من تواتر ما ذكرناه من اقوال المتبوعين عند اتباعهم ومن سمع
ما سمعوه وتدبر ما تدبروه حصل له من العلم ما يحصل لهم ولكن التراهل
الكلام واتباعهم في غاية قلة المعرفة بالحديث وتجاهلهم لا يعتقد
الدروي في الباب الواحي يتكلم فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء يظن المرتب فيه
حديثا او حديثين كما تجده في الاكابر شيوخ المعتزلة مثل ابي الحسين البصري يعتقد
الدليس في رؤية الاحاديث واحد وهو حديث جرير ولا يعلم ان فيها ما شاء الله
من الاحاديث الثابتة المتلقاة بالقبول حتى ان البخاري ومسلما مع كونهما المختصرين
قد رويا فيه عددا اجد امن ذلك والبخاري هو اكبر من مسلم ومع هذا فقد
سمعا الجامع المسند المختصر من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايامه فانكار
هو كما انكاره اهل الوسائط النسوبة مثل حكاية كثير من الفقهاء المذاهب الائمة
المشهورين بخلاف المتواتر عند اصحابهم وقد رايت من ذلك عجايب حين
رايت في الكتب المشهورة عند الحنفية ان مالكا يبيح نكاح المتعة وقد علم ان
مذهب مالك يجمع تحريمها وكثير من الناس قد يطرق
سمعه هذه الاحاديث ولا يجمعها وطرقها في قلبه وان كان من سامعي الحديث وكتابه
ومعلوم ان حصول العلم في القلب بموجب التواتر مثل حصول الشبع والري وكل واحد
من الاشياء يفيد قدرا من الاعتقاد فاذا تعددت الاخبار وقويت افادت العلم
اما بالكثرة واما بالقوة واما بمجموعهما والعلم بموجب الخبر لا يكون بمجرد سماع
حروفه بل يفهم معناه مع سماع لفظه فاذا اجتمع في القلب المستمع للاخبار
المروية بطرقها والعلم بحال رواتها حصل له العلم الضروري الذي لا يمكنه
دفعه ويدل على ذلك ان جميع ائمة الحديث المعروفين المشهورين قاطعة بمضمون
هذه الاحاديث شاهدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك جازمون بان
من كذب بمضمونها فهو ضال او كافر مع علم كل احد بفرط علم القوم و
دينهم وانهم اعلم الامة من علما بما يصدق ويكذب باحوال المخبرين

او ع

والهم يحرون الرواية والخبر بخبره الا يفعله احد لا من المسلمين ولا من غيرهم
فيما اخذه ما ينقل عن الانبياء لا عن غيرهم والمرجع في العلم بصحة هذه الاخبار الى
ما يحصل الاسكان في نفسه من العلم الضروري ليس له الا ذلك كما يرجع الى ما يجده
من العلوم الوجودية كالذة والالم وما يحس وكل من كان من العلم بالحديث من
الاولين والاخرين يحد ذلك ويعلن عليه ويباهل عليه ومن سئل بباهلته
باهلناه فاذا اتباع الانبياء باهل على ما جاؤا به كما دعة الانبياء الباهلة على الى
فاذا اتباع الجميع ما انا هم من الاثم وقول القادح في النبوة يجوز ان يكون ماهله
الذي جاءه شيطان ويجوز ان يكون عليه متل قول هؤلاء القادحين فيما عندهم
اتاهم به ورثة الانبياء يجوز ان يكون رواة هذه الاخبار كاذبين متعاطين
وكل احد يعلم ان المتدينين بالحديث اصدق الطوائف واعدلها واقلها كذبا
وظلما كما قال عبد الله بن المبارك وجود الدين اهل الحديث والكلام للفلاسفة
والكذب للرافضة والحيل لاهل الرأي وذكر كلمة اخرى ثم لوسا ويناين
اهل الحديث وبين اقل الطوائف ثم المعلوم ان المناظرة اذا انتهت الى العلم
بالضرورة لم يكن لاحد الخصمين رد ذلك على خصمه فانه اعلم بنفسه اكان يعلم
كذب الخبر الذي يستدل به على انتفاء العلم به مثل علمنا بكذب الرافضة في
دعوى النص وكذب النصارى في دعوى صلب المسيح فاذا كان المناظر لنا يقول
اني اعلم كذب من قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت هذا المعاني
او اني اعلم ان النبي ما اثبت ذلك سواء ادعى ذلك ضرورة او نظرا ونحن نقول انا
عالمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اثبت ذلك كان بيننا وبينه ما كان بين
النبي صلى الله عليه وسلم وبين اهل الحجر ان من المباهلة قال الله تعالى ثم حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين فاذا قد جاءنا من جهة نبينا صلى
الله عليه وسلم ما نقول له من اجاءنا فيه من بعده ما جاءنا من العلم تعالوا فاذا المحاجة
التي لها المناظرة اذا انتهت الى دعوى كل واحد من المناظرين علما ما هو عليه
بدليل اختص به او عجز عنه واترك الاستدلال واعرض عنه وعجز عنه او ناظره
لم يفصل بينهما الا المباهلة او انقيادا من لم يباهل لمن باهل كما انقاد اليهود
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان المخاطب لنا للكذب لنا جانا عن نبينا اما ان

ماهله
عندهم

يناظر

يحصل لهم

تعدهم

يناظرها العلم والعدل واما ان يباهل اذا ادعى ان عنده من العلم ما لا يمكنه المناظرة
به فان امتنع منهما فاما ان ينقاد والا فقد بان ظلمه وكذبه واستحق ما يستحقه الكاذب
الظالم في هذا الباب واما القسم الثاني وهو طريق يقرر افادة التواتر للعلم بالنظر
والاستدلال فنقول التواتر يفيد العلم بكثرة العدد نادرة وبصفات المخبرين اخر
فان الواحد والاثنين ممن علم كمال عدالته وضبطه كابي بكر وعمر وابن مسعود وابن
عمر يفيد اخبارهم من العلم ما لا يفيده خبر عدد ليسوا مثلهم وليغلب كل واحد
ذلك بما يعلم منه ذلك ولكن هذا انما يوجد كثيرا في اهل السنة والعدل واما اهل
الاهواء فالكذب فيهم كثير اذا نادرة بحال المخبر عنه وتارة بقوة ادراك المخبر وفطنته
فان الذكاء وقوة الادراك شيء مما من العلم ما لا يحصل لمن ليس له ذلك واذا كان كذلك
فالمخبرون بهذه الاخبار يتعين معرفة احوالهم ولهذا اتحد حال من علم حال
مالك بن انس وابن عمر يعلمون من صدق رواياتهم ما لا يحصل لهم من رواية
شعبة وقتادة والثوري واما اهل الحديث فيعلمون ان الثوري كان احفظ و
ابعد عن الغلط من مالك وان مالكا كان اكثر تنقيبا للشيوخ من الثوري فالثوري
يروي عمن لا يروي عنه مالك فشيوخ مالك ثقات عنده بخلاف محمد في الثوري
فليس كلهم ثقة عنده وكان يسمع من الكلبي ويروي عنه السماع منه ويقول انا
اعلم صدقه من كذبه ويعلمون ان الزهري وقتادة ما كانا يغلطان ويعلمون
انا ابن مسعود وابن عمر لا يتصور ان الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
كثير من اهل الحديث مثل مالك وشعبة والثوري واحمد بن حنبل من علم حالهم
يعلم علما ضروريا انهم لم يتقدوا الكذب قط يا حديث النبي صلى الله عليه وسلم
ويعلمون انا هم لا وكم يغلطون غلطوا الا في لفظة او لفظتين ومنهم من يعلمون
انه لم يغلط في الحديث النبوي وان احمد ابن حنبل ما عرف انه غلط فيه قط ولا
الثوري ولا الزهري وكذلك خلق كثير غيرهم والذين يعلمون انهم قد يغلطوا مثل
حماد ابن سلمة وجعفر بن محمد يعلمون ان غلطهم انما هو شيء يسير وهو اضبط
يعرفونها بالكلمة الجملة يجب ان يعلم ان حفظ الله تعالى لسنة نبيه من
جنس حفظه للكتاب الذي لا يمر وح فيه الغلط على صيان المسلمين وكذلك الخبر
لا يمر وح فيه الباطل على علما الحديث مع انا لا ندعي هذا بل الطقام فان ذلك
من خواص اهل الحديث وخصايص الامة وانما يكفينا هنا ان كثيرا من الاحاد

المشتركة بين بني آدم وان العلم يحصل بالاخبار يكون من الاسباب الاربعة التي
تقدمت الكثرة وحال المخبر وحال الخبر عنه وحال الاخبار ايضا ومن قال من المتكلمين
ومن اتبعهم من الفقهاء من اصحابنا وغيرهم ان الاعتبار بالعدد وانه اذا
حصل اخبار اربعة للقوم عن امر وجب ان يحصل مخبر كل واحد بعينه لكل قوم في كل قضية
فهذا اقل ما عرف غلطه في مواضع ويكفي الانسان انه اذا تصور هذا
القول وعرضه على نفسه علم بطلانه فهذان الطريقان الضروري
والنظري يحصل العلم لاهل الحديث بخبر هذه الاخبار المتواترة تواترا لفظيا
او معنويا في الامور العلمية في باب الايمان بالله والايمان باليوم الاخر والقسم
الثاني من الاخبار ما لم يروه الا الواحد العدل ونحوه ولم يتواتر لا لفظا
ولا معنا وكان تلقته الامة بالقبول عملا به او تصديقا له كخبر ابي هريرة الا تنكح
المرأة على عمتها او على خالتها فهذا يفيد العلم اليقيني ايضا عند جماهير امة
محمد صلى الله عليه وسلم من الاولين والاخرين اما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع
واما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من اصحاب الائمة الاربعة والمسئلة
منقولة في كتب الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية مثل السرخسي ومثل الشيخ
ابي حامد وابي الطيب وابي اسحاق وغيرهم ومثل القاضي ابي يعلى وابي الخطاب
وابن الزاغوني وغيرهم ومثل القاضي عبد الوهاب وغيره وكذلك اكثر
المتكلمين من المعتزلة والاشعرية مثل ابي اسحاق الاسفرايني وابي بكر
بن فورك وغيرهما واما نافي ذلك طائفة كابن الباقلاني وشعبة من ابي المعالي
والغزالي وابن عقيل وابن الجوزي ونحوهم وقد ذكى ابو عمرو بن الصلاح
القول الاول وصححه لكنه لم يعرف مذاهب الناس فيه ليتقوى بها واما قالة
بوجب الحجة وظن من اعترض عليهم من المشايخ الذين فيهم علم ودين وليس
لهم بهذا الباب خبرة تامة لكنهم يوجبون في ما يجدونه في مختصر ابي عمرو بن
الحاجب ونحوه من مختصر ابي الحسن الآمدي والمحصل ونحوه من كلام ابي عبد
الله الرازي واشباهه ظنوا ان الذي قاله الشيخ ابو عمرو في جمهور احاديث
الصحيحين قول انفرد به عن الجمهور وليس كذلك بل عامة ائمة الفقهاء وكثير من
المتكلمين او اكثرهم وجميع علماء اهل الحديث على ما ذكره الشيخ ابو عمرو وليس كل من
وجب العلم فيه على الغير عنه والاحتجاج له فالعلم نفي وبيانه تتواخر والمحافظة

عنه واقامة دليله نفي ثالث والجواب عن حجة مخالفي نفي البيع والحجة
على قول الجمهور ان تلقي الامة للخبر بالتصديق والعمل اجماع منهم وامة لا تجتمع
على ضلالة كما لو اجتمعت على عموم او امر او مطلق او اسند حقيقة او على موجب
قياس بل كما لو اجتمعت على ترك ظاهر من القول فانها لا تجتمع على خطأ وان كان
ذلك لوجود الواحد اليه نظره لم يأمن على الخطأ فان العصمة ثبتت للهيئة
الاجتماعية كما ان خبر التواتر كل من المخبرين يجوز عليه ان يكون كاذبا او مخطئا ولا
يجوز ذلك اذا تواتر فالامة في ما رووا بينها ومن بينها ويأتيها وفي ما يأتيها ايضا كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم اني امرؤ مرباكم فقد تواطأت على نقل الشرع الاوامر
فمن كان مسلم متحريها فليتحر هاديء السبع الاواخر فجعل تواطئ الرواة دليلا على
صحتها والواحد من الرواة قد يجوز عليه الغلط وكذلك الواحد في رأيه وفي رواياه
وكشفه فان المفردات في هذا الباب تكون ظنونا بشرطها فاذا قويت
تكون علوما واذا ضعفت تكون اوهاما وخيالات فاسدة وايضا فلا يجوز
ان تكون في نفس الامر كذبا على الله ورسوله وليس في الامة من ينكره اذ هو خلاف
ما وصفه الله فان قيل ما الجزم بصدقه قد يمكن منهم الا محالة واما
العمل به فهو الواجب عليهم ان لم يكن صحيحا في الباطن وهذا سؤال ابن الباقلاني
قلنا اما الجزم بصدقه فلجزمهم بالاحكام التي يستدون فيها الى ظاهر
او قياس ولجزمهم بعدالي الآيات والاخبار وذلك انه قد يحتف به عند هم
من القرائن ما يوجب العلم اذا القرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها فكيف
اذا احتفت بالخبر والمنازع بنا هذا على اصله الوافي ان العلم بخبر الآحاد
لا يحصل الا من جهة العدد فلزمه ان يقول ما دون العدد لا يفيد اصلا وهذا
غلط خالفه فيه حذاق النباعة واما العمل به فنقول لو جاز ان لا يكون في
الباطن كذبا وقد وجب عليهم العمل بما هو كذب فهذا هو الخطأ ولا معنى
لاجماع الامة على خطأ الا ذلك فان المجوز لذلك لا يقول انهم عاصون او فساقا
بالخطأ وان بقي ذلك على اصله الفاسد من ان الاثم والخطأ متلازمان فقد سد
على نفسه باب كون الاجماع حجة فان المنازع يقول انا اجوز عليهم الخطأ لا الاثم
فان كنت تقول ان ما لا اثم فيه لا خطأ فيه كان قول اهل الاجماع عندك مثل قول
الواحد من المجتهدين اذ ليس عندك لا خطأ ولا اثم وليس مثل هذا القول

القتل عليه

حجة عامة عند بعض الاريب فيلزم ان لا يكون قول اهل الاجماع حجة بل هو كقول
الواحد من المجتهدين وليس هذا مذهبهم وان لزم تناقضه والمقصود هنا الاحتجاج
بالقواعد المقررة والاقرب انه يكون الاجماع حجة ايضا فالاجماع كما ذكره طائفة
لا يقبل الا بدليل يدل على انه صدق لانه اجماع منهم على انه صدق مقبول فاجماع
السلف والصحابة على ذلك كاجماعهم على الاحكام وامعاني الايات بل لا يمكن
احد ان يدعي اجماع الامة الا فيما اجمع عليه سلفها واما بعد ذلك فقد انتشرت
انتشارا لا يضبط معه اقوال جميعها واعلم ان جمهور احاديث البخاري
ومسلم من هذا الباب كما ذكره ابو عمرو ابن الصلاح ومن قبله من الحفاظ كالحافظ
ابي طاهر السلفي وغيره واما ان تلقاها اهل الحديث علما وعملا وبالقبول والتصديق دون
ما لا يعرف الحديث من المتكلمة ونحوهم فهو كذلك يكون اجماعهم على ذلك حجة
قطعية لان الاعتبار في الاجماع على كل امر من امور الدين باهل العلم به دون
غيرهم فكما لا يعتبر في الاجماع على الاحكام الشرعية الا العلماء وبطرقها وهم
الفقهاء في الاحكام دون النحاة والاطباء فكذلك لا يعتبر في الاجماع على صدق الحديث
وعدم صدقه الا اهل العلم بطرق ذلك وهم علماء الحديث العالمون باحوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الضابطون لاقواله وافعاله العالمون باحوال حملة الاخبار
فان علمهم بحال الخبر والمخبر عنه مما يعلمون به صدق الاخبار كما ان العلم
المتلقى عن الصدوق والفقيه والمتكلم والصوفي بالنسبة الى علماء الحديث كالمحدث
والمتكلم بالنسبة الى الفقيه والجمهور على ان هؤلاء لا يعتد بخلافهم وقد قيل
انه يعتد بخلافهم فهكذا اذا خالف اهل الحديث متكلم او فقيه وهذا في خبر
الواحد المحتف بالذي لم يتواتر لا لفظا ولا معنى وقد علمت ان المتواتر يشترط
فيه عدد معين على القول الصحيح فيدخل بعض هذا القسم بالقسم الاول اذا كان
ما رواه الواحد والاثنان قد تحصل به العلم فيكون متواترا باعتبار اصحابهم وغيرهم
من القرائن والضمائم وكثير من الناس لا يسميه متواترا بل يجعله ما رواه الاربعة
من اصحابه الاحاد مطلقا ويتوقف فيما رواه الخمسة كما يقوله القاضي ابو بكر والقاضي
ابو يعلى في بعض كتبه وللناس في الحد المتواتر اكثر من سبعة واثنا عشر وابن حمدون
وتلميذه وبعضهم عشر وغير ذلك مما حكيت ولا اعلم بها قائلا مهيبا ولا حجة تذكر
والقسم الثالث خبر الواحد العدل الضابط الذي يجب قبوله والعمل

هنا بياض في الاصل الذي نقل منه هذا

به على المسلمين ليس كل خبر من كل عدل ضابط بل الخبر الذي اوجبت الشريعة تصديق
مثله والعمل به فهذا يفيد العلم به قولا كان هذا وايمانا احدهما انه يفيد العلم
ايضا وهو احدى الروايتين عن مالك وقول الحرث المحاسبي وغيره وقول محمد بن خويز منداد
محمد وقول طوائف من اهل الحديث واهل الظاهر وطائفة من اصحاب احمد
والثانية لا توجب العلم ولا تطلق عليه مضمونه وهذا قول جمهور اهل
الكلام والكثير من حزب الفقها وطوائف من اهل الحديث كان ذلك الخبر عن عمد
الكذب عمدا او خطا والعمد قد يعلم انتفاؤه لكن الخطا لا يعلم انتفاؤه فان الانسان
قد يخطي سمعه وقد يخطي فهمه لما سمعه وقد يخطي ضبطه له وحفظه
وقد يخطي لسانه في تبليغه فمع هذه التجويزات لا يقطع بعدمها
وللاولين ان يقولوا ليس هذا موضع استقصائها اذ هم لا يجعلون حصول العلم
بهذا امرا جهة العادة المطردة في حق الكفار وغيرهم كما يقوله المتكلمون
في التواتر الذي يحصل العلم فيه بخبر الكفار والفساق وانما يقولون هذا
من باب حفظ الله تعالى للذكر الذي انزله على رسوله وعصمة الامة ان
يوجب على الامة اتباع ما يكون باطلا اذ لو جاز ذلك ولم يبق بعد محمد نبي
يبين الخطا لم يقم حجة الله على اهل الارض في ذلك ولكان قد اوجب الله
على الناس ان يقولوا على ما هو في نفس الامر كذبا ويقولون متى كان الحديث
قد اوغلط فلا بد ان ينصب الله حجة يبين بها ذلك كما قال بعض السلف لولا هذه
الاحاديث لخرجت الى الناس يقولون
رجعنا في الليل ونكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصبح الناس يقولون
هذا كذاب وفي ذلك من البسط ما لا يختص بهذا المكان ولا يقف عرضا عليه
فان عامة الاحاديث التي يصح بها تواتر النوع لا تخرج عن القسم الاول او الثاني
واحاديث الاصول الكبار التي يهاجر اهل السنة والجماعة بها من القسم الاول
المتواتر لفظا ومعنى وفي لفظها يخالف الخوارج والروافض والجهمية والقدرية
من المعتزلة ونحوهم

فصل

الطريق الثالث ان يكون في الحديث الذي انتفت اسباب العلم بصدقه من كل وجه وهذا قد يكون
عند شخص وطائفة دون شخص وطائفة فكثير من الاحاديث المعلوم صدقها
عند علماء الحديث هي عند غيرهم غير معلومة الصدق بل يظن بها الصدق
كما ذكره المعترض وذويه فنقول على هذا التقدير علينا ان نقدر الحديث

كذب ح

في ح

قدمة فاذا غلب على الظن صدقه اعتقدنا اعتقادا مبنيا مضمونة ولم نجزم به
جزما بالمتيقن صدقه كما نقول بدلالة الاحكام الظواهر الآتية ونحو الواحد
المخبر واذا لم يفد نا الا غلبة الظن اعتقدنا غلبة الظن بها وهذا هو الواجب بل هذا
في الامور الدنيوية اجود لانه لا يترتب على اذ لك فساد ولا مضرة اذ كنا كما نوجب به عملا
ولا نحرمه واما ظن مضمونها ولهذا جوزنا العمل ان تروي الاحاديث بالوعد
والوعيد اذا كانت ضعيفة ولم يعلم صدقها ولا كذبها ولا يثبت بها استحباب
لكن يثبت بها ظن يحرك القلب على فعل الخيرات او ترك المنكرات فاذا كان هذا فيما
يتعلق بالايمان بالله واليوم الآخر فكذلك فيما يتعلق بالايمان بالله واذا روي خبر في عظمة
الله وبعض شؤونه التي لم يعلم بها الخبر انتفاؤها ولا اثبوتها والخبر مما يقبل على الظن
صدقه اعتقدنا هو موجبه وظننا ذلك ظنا غالبا فان كان صادقا في نفس الامر و
الا فعظمة الله اكبر كما ان حديث الوعد والوعيد الذي لم يعلم انتفاؤه مضمونة ان
كان صادقا والا فثواب الله اعظم مما علمناه مفصلا اذ فيه ما لم يخطر على قلب
بشر فهذا هو الذي اتفق عليه اهل السنة والجماعة واية الاسلام
ان الخبر الصحيح مقبول مصدق به في جميع ابواب العلم لا يفرق بين المسائل العلمية
والخبرية ولا بد الخبر في كل باب من الابواب سواء كانت اصولا او فروعا ان يكون خبر واحد
فان هذا من محدثات اهل البدع المخالفة للسنة والجماعة فان قيل هذا شرط
ان لا يعلم بالعقل ولا بالشرع انتفاء مضمونه قلنا نعم لا بد من هذا الشرط ولا
فائدة باستحالة مضمونه يستحيل ان يغلب على ظننا صدقه فان هذا رجع بين
النقيضين لكن دعوى المعترض قيام الادلة العقلية القطعية على انتفاء مضمون
الآيات والاخبار هو السؤال الآخر فلهذا اخرنا الجواب الى هناك والواقع انه ليس
في الاخبار الصحيحة التي لا انتفاء صدقها ما يخالف القرآن ولا العقل كما سنبين
ذلك فان قيل من الناس من يقول لهذه المسائل العلمية التي امرنا ان نقول فيها
بالعلم متى لم يكن الدليل عليها علميا قطعيا بطلانه فلهذا يجب رد كل خبر ودليل
لا يفيد علما في باب الخبر عن صفات الله ومنهم من يطرد ذلك في صفات الخلق
كالاعراض والسموات قلنا لهم بل هذا الكلام قد يطلقه كثير من اهل النظر
كالقاضي ابي بكر وابن عقيل والمازري ونحوهم وقد اطلقه قبلهم كثير من اهل الكلام
المعتزلة وغيرهم وقد ذكر ذلك عليهم كثير من ارباب النظر وقالوا العلم بالعدم غير

عدم القدم الدليل غير دليل وهذا قول اكثر الفقهاء واهل الحديث واهل الكلام
وفصل الخطاب ان يقول لا يخلو اما ان يكون الموضع مما اوجب الله
علينا فيه العلم او وجبت مشيئته وسنته فيه العلم واما ان لا يكون مما يجب
فيه العلم لا شرعا ولا كونا فان كان الاول مثل ما اوجب الله علينا ان نعلم انه الاله
الاحد وان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وانه على كل شيء قدير وانه
قد احاط بكل شيء علما فلا بد ان ينصب سببا يفيد هذا العلم ليكون موجبا
علينا ما كلفنا به على تحصيله وانه لا يكلفنا ما لا نطيقه لانا اذا رددنا تحصيله في
مثل هذا الى ما لم يكن الدليل موجبا للعلم لم يكن صحيحا وكذلك ما اقتضت مشيئته
وسنته العلم به مثل الامور التي جرت سنته بتوفر الهمم والدواعي على
نقلها نقلا شائعا بينا فانا لم نعلم انتفاءها وكذب الواحد المخبر بها وانما
ما لم يجب فيه العلم لا وجوبا دينيا ولا وجوبا كونيا فلا يعلم بطلان ما افادته
علة الظن فان اليقين له اسباب والظن الغالب اسباب والتكذيب بما لم يعلم
الله كذب مثل التصديق بما لم يعلم الله صدقه والنفي بلا علم بالنفي مثل الاثبات
بلا علم بالاثبات وكل من هذين قول بلا علم ومن نفى مضمون خبر لم يعلم
الله كذبه فهو مثل من اثبت مضمون خبر لم يعلم الله صدقه والواجب على
الانسان فيما لم يقم فيه دليل احد الطرفين ان يسرح الى بقعة الامكان
الذهني الى ان يحصل فيه مرجح او موجب ولا يكون قد سكت عالما يعلم فهو
نفى القلم فرحم الله امرأ تكلم فغنم او سكت فسلم ومن كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت واذا اخطأ العالم لا امر به اصيبت مقاتله واذا
كان كذلك فمتى لم يجب علينا قط ان نعلم جميع ما اتت به من معاني اسمائه ولا
ان نعلم جميع صفاته والا ان نعلم صفات محلوقاته ولا مقادير وعده ووعيده
وصفات ذلك ولا احدى سنته فان سبب العلم بذلك يكون مشهورا او اقام دليل
على نفي ما نفاه من ذلك فاذا آحاد ما خبر يغلب على الظن صدقه اثابه غالب
الظن وان غلب على الظن كذبه كذبناه وان لم يعلم واحد منهما توقفنا فيه
ويجوز لنا ان نرويه اذا لم نعلم انه كذب لكن متى علمنا انه كذب لم يجز روايته
الا مع البيان لقوله صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث وهو يعلم انه
كذب فهو احد الكاذبين وهو في صحيح مسلم وامامن قال من ظاهر

اهل العلم ان ما لم يقم على ثبوته دليل فانه يجب نفيه فانه مبني على هذا الاصل
المتقدم وقد بينا حكمه واما قولهم هذا من المسايل العلمية فلا نسلم فيها بالظن
فهذا لفظ مشترك قد يراد به العلمية ما ليس تحتها عمل كما يقول بعضهم العلوم النظرية
والمسايل الخبرية والاعتقادية واذا كان المراد بها ذلك لم يجب ان يكون مقطوعا
بها وقد يراد بالعلمية ما العلم فيها واجب او واقع وهو ما يرد فيها ما لم يفد العلم
ولهذا فصلنا ذلك في نوعين والله اعلم فصل واما السوال
الثاني وهو قوله ليست الاحاديث نصوصا في ذلك بل هي ظاهرة قابلة للتاويل
فهذا الكلام في الجملة يجاب عنه بوجهين احدهما ان نقول كل موضع قطعنا بعصمته فالنص
فيه قطعية وما نقطع بعصمته فقد يكون الدلالة فيه ظاهرة وقد يكون قطعية وما لم
يتبين لنا كونها قطعية يكون الدليل في نفسه موجبا للقطع والاعتقاد الراجح
غير حصول العلم وذلك ان الادلة هي في نفسها اتفاق الجمهور على القول الاخر
واما الموثمة للمخطي والمعتقد وان من لا اثم عليه لم يخط كابن الباقلاني ونحوه
فيقولون ليس في الظنون تفاوت ولا عليها اما رات تقتضيها وهذا غلط عند
جمهور الناس بل للظن اسباب كما للعلم اسباب واذا كانت الادلة هي في نفسها
على صفات تقتضي ذلك فان ذلك يختلف ايضا باختلاف قوى الافراد وباختلاف كمال
النظر فالحاذق الذهن الصبور على استيفاء النظر يحصل له من العلم والظن بانواع
من الادلة والامارات ما لا يحصل لمن يفوته ولم يصبر صبره وما لم يكن قطعيا
بل دلالته ظاهرة ليس للانسان ان يصرفه عن ما هو الامر وجود المقتضي لذلك
السالم عن المعارض القائم فالمقتضي مثل قيام دليل يبين لنا مراد المتكلم من
الادلة الشرعية ونحوها كالعام الذي تبين مقتضاه الخاص وكذلك لو فرضنا
وجود دليل عقلي قطعي يعارض ظاهر الادلة الشرعية التي ليست قطعية لوجب
تقديم القطعي على الظني والجزم بانا ان الرسول لم يرد بكلامه ما يعلم بطلانه وامثال
انتفاوه وعقولنا اقل من ان يقال هي دون عقله بل لو حكم احد مسئلة
في الطب او النحو مما يعلم ان اقراط وسيبويه لا يقولانها لبادر الناس الى التكذيب مثل
ان يحكي حاك عن اقراط انه قال طبايع الاجسام الاصلية خمسة او البلغم
احسن من الموت الصفرا والدم ليس منها او هي ابرد من المرة السوداء فانا
نعلم ان اقراط ونحوه لا يقولون هذا فاما ان ينقل فيكذب عمدا

اوخطا

او خطا او يكون معنى غير الظاهر الباطل الذي لا يقوله ذلك الفاضل
وكذلك نقول في ما يروى عن سيبويه ان الفاعل منصوب والمصدر مجرور ونحو ذلك
كان مرفوع وخبر المبتدا مجرور ونحو هذا فانا نعلم ان هذا كذب على سيبويه
عمدا او خطا او يكون للعبارة معنى يليق به ان يقوله وكذلك لو نقل عن الائمة
امورا تنافي ما علمناه من احوالهم علمنا انه مكذوب او مصروف عن نقل
عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال لحذيفة انه يخلق نفسه من عرق الخيل
او ان النبي صلى الله عليه وسلم كان موجودا بعينه نبيا قبل ان ينبئه الله او ان
يعطي من دعا بهذا الدعاء مثل ثواب الانبياء ونحو ذلك علمنا انه يكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والكذب عليه كثير وقد صنف العلماء في بيان الاحاديث الموضوعة
مصنفات وميزوا الصدق من الكذب حتى يعلموا ما عند اهله ولكن هل
في القرآن والاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ظاهره ممتنع
في العقل ولم يتبين ذلك بالادلة الشرعية هذا لا يعلمه الله واقع اصلا
ان قال ان هذا واقع فليذكره فانا رأينا الذي يدعي فيه ذلك اما ان يكون الحديث
فيه موضوعا او الدلالة فيه ليست ظاهرة او ان ظاهرها الذي لم يرد قد بين
بادلة الشرع انتفاوه فاذا كان النص ثابتا والدلالة ظاهرة وليس في بيان الله ورسوله
ودلالته ما يبين انتفاها وملازمة بها فانا واجدنا ما يدل على انه من المعقول له
هو في نفسه هو معارض بمعقول اقوى منه ووجدنا ما من المعقول الا ما المعقول
بل وجدنا المعقول الصريح يدل على بطلان المعارض للمنقول الصحيح والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل وهذه جملة يبينها التفصيل اذا السوال
ايضا مجمل وقد فصلنا الجواب الكثير بتفصيل السوال وهذا يظهر بذكر
فصل جليل القدر عظيم في تصديق المرسلين وهو عامة حق المومنين وذلك انه
ما زال في الامة قديما وحديثا من يظهر له من اية او حديث معنى ويعتقد
ان ذلك المعنى باطل اما لظهاره ضد ما يرى انه علمه او لعجز عقله لامور الموجودة
او لما يرى انه علمه لما عقله من كتاب الله يحتاج عند ذلك اما الى رد الخبر واما الى
تاويله وورد بان يقول غلط سمع الراوي او لم يفهم معناه او لم يحفظ ما فيه
او انه نقل الكذب فان الخبر اما ان تعتمد الخبر وخطاؤه وخطاوه
اما في نفس ما سمعه من اللفظ فقد يغلط السمع وقد يسمع البعض دون

البعض واما انه لم يفهم المعنى ومراده بالمعنى الذي فيه بلفظ اخر او باللفظ الاول مع قرائن تفيد غير المعنى الاول واما مع اللفظ الاول قرائن تركبها بحيث يكون اللفظ مشتركا والمتكلم اراد به معنى مع قرائن والراوي فهم معنى اخر واخره مع قرائن تفيد ذلك المعنى فالجمع بين التعريف بالدلالة والفرق بين الجمع فيها قد يحمل المعنى وبهذا قال القائل كاحمد وغيره في الحديث الطويل اذا اراد الرجل ان يتوضأ ويروي بعضه فالوا بالمعنى وذلك فيما يرتبط الذكر منه بالمتروك ارتباطا يحمل المعنى تفريقه وذلك ان المستمع للكلام لا يروي مجرد صوت غير معلوم المعنى بل يروم لفظا له معنى فاذا ضبط اللفظ الدال على المعنى فقد يحفظ ذلك وقد ينساه فلا تبقى الا الامانة الفظية في الفاظه او اذا من زوال العلم بعد حصوله بالنسيان والا فمتى علم علم فاسمع وحفظ لم يسبق فيه الا ان يتعمى الكذب فالذين يروون الخبر على اشكال المرتبة الرابعة ثامنة يروونه ولا يقبلون ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله وتامة لا يفسرونه وبتا ولونه بامور اخر وان خالفوا الظاهر فهذا القدر فتوقع من بعض الصحابة في مواضع ومن التابعين اكثر وكلما تاخر الزمان كان وقوعه اكثر ولكن اذا تامل العالم ما وقع من الصحابة والتابعين وجد الصواب والحق كان في الخبر الصحيح وان الذي غلط راويه كان هو الغالط وان كان اعظم القدر مغفورا غلطه مثابا على اجتهاده فاذا كان هذا حال اكابر الصحابة والتابعين فكيف بمن بعدهم الا ان يكون الجاهل بالكذب والخرق من المتاخرين احسن حالا من العالم منهم ان يكون هو الغالط في تغليط راوي الثقات الاثبات عن مرويات السموات ويكون هذا الغلط مغفورا له اجتهاده ويكون مثابا عليه فعله من خير نيته وقصده وعمله وسعيه الا ان يوجد رايه وتاويله على مقتضى النصوص فهذا ظلم محرم وقيله رد ما جاء به الرسول لا جل راي غيره وتاويله ولهذا قال الامام احمد كثيرا ما يخطئ الناس من جهة التاويل والقياس ولقد احسن رضي الله عنه بهذه الكلمة الجامعة النافعة فاني تدبرت عامة ما رد حديثا صحيحا فلم يرد حديثا صحيحا يكون ناسخا له بوجه وانفسهما ومبينا غلط راويه فلم ار احدا غلط الا من اربعة وان كان قد تاول لكن ظاهر القرآن ويكون غلط من احد وجهين اما لانه اعتقد ظاهر الحديث ما ليس ظاهره في نفسه وكما يكون ظاهر الحديث هو المعنى المردود اولا فان ظاهره الذي اعتقده الظاهر حق والدليل الذي يعارضه ضعيف

معارضته

معارضته لا حقا وهذا والله اعلم من حفظ الله لما انعت به نبيه من الحكمة التي هي سنته فانها من الذكر الذي انزل الله تذكره حيث قال واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقد قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وسنته التي هي الحكمة منزلة بنص القرآن فان كانت داخلت في نفس الانزال الذكر ومنالها لحافظون وسنته التي هي الحكمة كما تقدم تقدم والا كانت في معناه فيكون حفظها بما حفظ به الذكر ولهذا يوجد من الايات الخارقة للعادة في حفظ السنة ما يوكد ذلك كما ان الله تعالى لما جعل حفظ القرآن حرفا به عادة حفظ الكتب السالفة وكما ان الله تعالى جعل جماع هذه الامة حجة معصومة وذلك انه لا نبي بعد محمد حتى يبين ما غيروه وبدله وانما العالمون الذين هم ورثة الانبياء الذين يحفظ الله بهم حجته وبيناته ولهذا كان طايفة من علماء الامة وفقهائها كالبيهقي يحدثون وايما امة من قد زان يا في عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث صحيح بين متقاربين صنين فليا تانا بمن يحدث اخذ الى ذلك سبيلا وهذا الفن عام في الاحاديث الخبرية المتعلقة بالفقايد والاصول الخبرية في الاحاديث العلمية المتعلقة بالاعمال اصولها وفروعها لا يستثنى من ذلك نوع واحد كما يفعله طوايف من اهل الكلام الذين سلكوا في معارضة سبيلهم وانا اذكر امثلة وقعة في من الصحابة لتكون عبرة لما سواها ويستفيد الانسان بها اقرار الاحاديث الثابتة عند علماء الحديث ويوسع الاعتذار والاستغفار لمن تاول في اجتهاده طلب الحق وان اخطاه بل يقطع حقه من المحبة والموالاة والتعظيم بحسب حسناته وايمانه فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه ومن نيح عليه يعذب بما نيح عليه وهذا رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عمر وابن عمر والمغيرة بن شعبة وجلوعن ذلك فطايفة ما السلف والخلف روته وطايفة تاولته على غير تاويله وطايفة اقرته على المعنى الذي احاله والحق الذي هو ظاهره واسعد الناس به من فهم ظاهره واقوم من سلك عن الامرين واشقى من دخل الامر من جهة اعتقاد فهم ظاهر فانهم اعتقدوا ان الله يعاقب الميت عذاب الحي وظنوا ان الله لا يكون الا عقابا ثم راوا ان الله لا يعاقب الانسان بفعل غيره لان ذلك مع منافاته العدل عندهم نص نحالوني لقوله ولا قدروا على

ومن راجزي ثم تنوعوا مابين مدوتاويل فرد نه طايفة منهم عايشة وابن
عباس والشافعي في مختلف الحديث وغيرهم وقالت عايشة انكم لتحدثوننا عن
غيركا ذبين ولكن السمع قد يخطي واقسمت ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك
ثم ادت حديثين واحدهما فقاه يوافق معنى ذلك الحديث ولهذا قال الشافعي
في مختلف الحديث ما قال ما لته عايشة اشبه بكتاب الله لكن روايتها الاخرى
اي صحيحة قلت واما الحديث الاول ففي الصحيحين عن ابن ابي مليكة قال توفيت
لعثمان ابنة بمكة وجيئنا لنشهدها وحضرها ابن عمر وابن عباس واني لجالس
بينهما او قال جلست الى احدهما ثم جاء الاخر فجلس الي جنبي فقال عبد الله بن
عمر لعمرو بن عثمان الا تنهى عن البكاء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت
يعذب ببكاء اهله فقال ابن عباس كان عمر يقول بعض ذلك ثم حدث قال صدرت
مع عمر من مكة حتى اذا كنا بالبيداء اذا هو بركب تحت ظل سمرة فقال اذهب
فانظر من هؤلاء الركب قال فنظرت فاذا صهيب فاخبرته فقال ادعه لي فرجعت
الى صهيب فقلت ارتحل فالحق اميرالمومنين فلما اصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول
وا اخاه واصاحباه فقال عمر يا صهيب اتبكي علي وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الميت يعذب ببعض بكاء اهله عليه قال ابن عباس فلما مات عمر ذكرت
ذلك لعايشة فقالت رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليعذب المومن ببعض بكاء اهله عليه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله ليزيد الكافر ببكاء اهل عليه وقالت حسبكم القرآن لا تزر وازرة وزر اخرى
قال ابن عباس عند ذلك والله هو اضحك وابكى قال ابن ابي مليكة والله ما سمعت
عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على يهودية يبكى عليها اهلها فقال انكم لتبكون عليها وانها لتعذب في قبرها ورواه ايضا
المجاهد عن ابي موسى الاشعري قال لما اصيب عمر جعل صهيب يقول واخاه واصاحباه فقال
عمر اما علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببكاء الحي ورواه ايضا البخاري
عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الميت يعذب في قبره بما نيح عليه وقد ذكره ابن عمر في حديث آخر اما ان يكون
من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الواقعة واما ان يكون قد قاله لعلمه
بان النبي صلى الله عليه وسلم قاله في الجاهلية عن سعيد بن الحرث عن عبد الله

بن

فلما راى القوم
بكاء النبي صلى
الله عليه وسلم

ابن عمر قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده
مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله
عنهم فلما دخل عليه فوجده في غاشية اهله قال قد قضى قالوا لا يا رسول الله
فبكى النبي صلى الله عليه وسلم بكوا فقال الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين
ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم وان الميت يعذب
ببكاء اهله عليه وكان عمر يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحثي ويرمي بالتراب
وقد اخبره بما ايضا المغيرة سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم ففي
الصحيحين عن المغيرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان كذبا علي ليس
ككذب على احد من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وسمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نيح عليه يعذب بما نيح عليه فهذا
الحديث قبله اكابر الصحابة مثل عمر وهو محدث به حين طعن وقد دخل عليه
المهاجرون والانصار وينهى صهيبا عن النياحة وكاكم ذلك احد وكذلك
في حال امرأته يعاقب الحي الذي يعذب الميت بفعله وتلقاه اكابر التابعين
مثل سعيد بن المسيب وغيره ولم يردوا لفظه ولا معناه واما الذين
ردوه تغليطا للراوي فهم الذين غلطوا فيفقر الله لهم كيف وقد سمعه مع
المغيرة وغيره كبش والسابقون الاولون لم ينكروه ثم لو رد
بعض اعاظم الصحابة لم يكن مردودا ما ذكر فان احد الحديثين الذين رواهما عائشة
يوافق معناه وهو قوله ان الله ليزيد الكافرين عذابا ببكاء اهله عليه وام
المومنين هي الثقة المامونة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديقة بنت الصد
وهي من اعلم الصحابة واحفظهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وهي حجة في ذلك
والحديث الذي رويته ان الله يزيد الكافر عذابا ببكاء اهله يدل على ان الكافر
الميت يعذب ببكاء اهله عليه فلو كان ذلك من باب حمل الوزر او الظلم لم يقع
في حق كافر ولا مومن واما اذا رات شيأ ورأى غيرها رآه فالمراد بالي الله ورسوله
وهي لم تحتج الا بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذه الاية
لا تخالف الحديث فان الميت لا يحمل من ذنب الحي شيأ وهذا هو حمل الوزر وان
يوضع من ذنب المرء على غيره فيحقق عند سؤال الناس يعذب عليا ياحمله
فهذا الحديث الصحيح ان النياحة اذا لم تتب قبل موتها فانها تلبس يوم القيمة

ويقام وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وكذلك الاحتجاج بقوله هو
اضحك وابكى وجهله ان الله خالق الضحك والبكا وهو كما بين لغير احتياج الى ذكره فلا
يعذب على فعل الله الذي ليس من فعله كما لا يعذب على تمام بضعه وعوينه وهذه
لجة لا تخالف الحديث ايضا فان من الضحك والبكا ما يرضى الله به ويثيب عليه وبهذا
قال الله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال ان الذين اجرموا
كانوا من الذين امنوا يضحكون فذمهم على ذلك وقال اخرا وسجدا وبكيا وقال
ويخرون للاذقان يبكون فجعل ذلك من اعمالهم الصالحة بل الخوف والحزن
قد يدخل تحت الامر والنهي استحبابا او ايجابا كقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم وقد ذم الله الفرح بغير الحق وامر بالفرح بالايمان ونهى عن الحزن
الذي يضر وذلك اصل الضحك والبكا فقال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وقال ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقال اذ قال
له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال
ولا تحزن عليهم وقال ولا يحزنك قولهم نهي عن الحزن الذي يضر كالحزن على الكفار
المكذبين والحزن اذا غلب المسلمين وخافوا من عدوهم والحزن من قولهم
فان هذا الموطن يوم مرفه بالكلمات والقوة والقيام بالواجب من التبليغ
والجهاد والحزن يضعف عن هذا الواجب وما افضى الى ترك واجب نهي عنه
وكذلك ما شغل عن المستحب لم يكن حسنا وما الحزن على الميت ونحوه فيرخص
منه بالحزن ولا تعذب حد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يؤاخذ
على دمع العين ولا حزن القلب وهذا هو الذنب لا يملكه العبد بل يكون بغير
اختياره على سبب غير محرم فلهذا لم يؤاخذ الله عليه كما قال ما كان من
العين والقلب فمن الله وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان فالذي
يخلق لله وليس من مقدوره العبد عفا عنه وهو الذي يجب القول به من
احتجاج ابن عباس وهو قوله ان الله اضحك وابكى فهذا هو من الله واما ما كان
من اليد واللسان فذاك مما يامر به الشيطان فيدخل تحت العقاب وان كان الله
هو خالق كل شئ ولو اهذا لم يعذب بالجنة والنصوص كلها تخالف ذلك
كما تقدم في الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لطم الخدود وشق
الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وقال ابو موسى انا بريء ممن برئ منه رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة وكلاهما في الصحيحين
وقال الله تعالى ولا يعصينك في معروف وهي النياحة كما جاءت مفسرة وهي ما اخذه
النبي صلى الله عليه وسلم على النساء في البيعة كما في الصحيح عنهم عليه قالت احد قلنا يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في البيعة ان لا ننوح فما وفت منا امراة غير خمس نسوة ولهذا
كانت النياحة محرمة على القول الصحيح الذي عليه جماهير العلما وهو المنصوص عن احمد
وغيره وان كان بعض اصحابه وبعض الناس جعل فيه تفصيلا كالفناء فليس
كذلك بل جنس النياحة اعظم من جنس الغنا للنساء ولهذا كان الضرب بالدف
في الغناء منكرا بلا ريب حتى نص احمد على وجوب ازالته في ذلك بتخريق او غيره
وان كان النساء يرخص لهن في الضرب بالدف في الافراح والنساء قد يرخص لهن
في الغناء في مواضع ولم يرخص في النياحة قط بل الستي الصحيحة نهي عن النياحة
مطلقا والسلف انما كان ينوح في عيدهم النساء ولم يقم الله تعالى بالجزع وقطع الثنى على
الصوتان المشتركان الاحمقان اللذان نهى عنهما النبي صلى الله عليه وسلم
صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم الخدود وشق الجيوب
ودعاية عوى الجاهلية احدهما انكر من الاخر نعم اذا كان البكا رحمة
للميت عليه فهذا احسن مستحب كما في الصحيحين عن اسامة بن زيد قالت
ارسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم اليه ان ابنا لي قبض فائتنا فارسل يقرئ
السلام ويقول ان لله ما اخذ وله ما اعطى وكل عنده باجل مسمى فلتصبر
ولتحتسب فارسلت اليه تقسم عليه لياتينها فقام ومعه سعد بن عبادة
ومعاذ بن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع كانها شنة ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول
الله ما هذا فقال رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء وفي
يقتضي ان من لم يكن عنده رحمة للميت جزع او مرض او فقر او ظلم او معصية
اصيب بها ونحو ذلك فانه لا يرحم ولهذا جمع الله تعالى بين الصبر والرحمة
في قوله ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فذكر التواصي
بالصبر والرحمة جميعا اذ المرحمة بلا صبر يكون معها الجزع والصبر بلا مرحمة يكون
معه القسوة فهذه الرحمة محمودة بها واذا كان معها حزن لم يكن
به باس وان لم يؤمر به فقد قال يعقوب يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من

صلى

الحزن فهو كظيم وفي الصحيحين عن ثابت عن انس قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سيف القين وكان ظئرا لابراهيم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وانت يا رسول الله فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم اتبعها باخرى فقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون وفي هذا الحديث من تدبير رسول الله اولم نته عن البكاء فقال انما نهيت عن صوتين احمقين فاجرين كما تقدم سير صلى الله عليه وسلم ملاءم فيه واما يستحب من الرحمة والحزن والدمع وما ينهى عنه من النياحة برفع الصوت والندب وما يتبع ذلك مما ليس هذا موضعه اذا العرض بيان معنى الحديث وان ما في نجلة ابن عباس من تدفع التكليف عما ليس مقدوره البعد لا هو ولا نسبه بخالق الحديث بل قد بين صلى الله عليه وسلم الفرق بين النوعين وما يواخذ الله عليه وما لم يواخذ ولفظ حديثه انه يعذب بكاء اهله بالمد اومن نح عليه يعذب بما نح عليه والمعول عليه يعذب والنياحة والعويل والبكاء بالمد يكون الا مع الصوت الذي هو الصلق فاما الدمع فهو بكاء بالقصر لا بد كما قال الشاعر بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء والعويل فان زيادة اللفظ لزيادة المعنى والافعال من امثلة الاصوات كالرغاء والثغاء والدعاء والحوار والجؤار والنباح والصراخ وكذلك النفيل كالنحيب والنحيج والهرير وما اشبه القسم الثاني الذين تاولوا الحديث فهو كلام من تاخر عن الامة الصحابة فان الصحابة عرفوا المقصود برواية بعضهم لبعض فلم يستقم لهم التاويل وهو الا جعلوا التعذيب على ذنب يفعله الميت فبعضهم جعله هو امره بالنياحة وقصر الحديث على هذا كما يذكر عن المزني وبعضهم جعل ذلك اذا كانت النياحة عادتهم ولم ينهى عنها فيعذب على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا امثل التاويلات وفي تاويل البخاري صاحب الصحيح وجدي ابو البركات وغيرهما وهذا ايضا ضعيف لانه خلاف مقتضى الحديث ومفهومه وخلاف ما فهمه الصحابة الذين رووه وقصر لهذا اللفظ العام على صور قليلة فان النياحة لم تكن من عادة المسلمين بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم بل كانت

قليلة وايضا فالاحياء الموجودون اذا حق بالتعذيب على انكار المنكر من الميت العاجز ولا اختصاص لتعذيبه على ما لم يسعه من النياحة بل ما يتركونه من الواجبات ويفعلونه من المحرمات التي لم يامر ولم ينه عنها اعظم من النياحة فتخصيصها لهذا السبب بعيد وايضا فان النهي يراد به فلا يسمع منه وحسبك بنهي النبي صلى الله عليه وسلم وما يعقله للنساء ونهيه لنسوة جعفر كما في الصحيحين عن عائشة قالت لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نعي زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن وانا انظر من صائر الباب فاتاه رجل فقال ان نساء جعفر وذكر بكاءهن فامره ان ينهاهن فذهب ثم اتاه الثانية فذكر انهن لم يطعنه فقال انههن فاتاه الثالثة فقال والله لقد غلبننا يا رسول الله فزعمت انه قال فاحث في افواههن التراب فقلت اي عرف الله انفك لم تفعل ما امرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناء ولهذا كان عمر بن الخطاب يحثو امام التراب لام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك هذا مع قوله دعهن يبكين على سليمان خالد بن الوليد ما لم يكن نقع او لقلقة وايضا فان الحرج لهم اي هذا التاويل ظنهم ان ظاهر هذا الحديث عقوبة هذا المذنب هذا ليس كذلك واما الطايفة الثانية الذين اعتقدوا هذا ظاهره خوفوا من الله يعاقب الانسان بعمل غيره وهؤلاء يقولون ان اطفال المشركين يدخلون النار مع ابائهم وهذا قول طايفة من اهل الحديث والفقه والكلام من اصحاب احمد وغيره ويقولون ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وانه لا يتصور منه ظلم اصلا ولا اشكال في الحديث اصلا ومن احب ان يستشكله كثيرا مما يقول لهذا الاصل فانما الحامل له القرآن ان تحط سيئات غيره بلا معاوضة وهذا ليس في الحديث والذي عليه اكابر الصحابة والتابعين هو الصواب فان النبي صلى الله عليه وسلم قال يعذب ولم يقل يعاقب والعذاب اعم من العقاب قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من سفره فليعجل بالرجوع الى اهله وقال ابو يعلى عليه السلام اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فالعذاب هو الالم الذي يحدثها الله تعالى تارة يكون جزاء على عمل فيكون عقابا وتارة يكون بكفر الميت فانه ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا اذى الا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل قال المعترض واما الجواب عن الاحاديث بعد المطالبة بصحتها فمن وجوه احدها انها اخبار احاد لا تفيد القبول تفيد الظن لما عرف في الاصول والثاني انها ليست نصوصا في ذلك بل هي ظواهر قابلة للتاويل والوجه الثالث فتاويل السلف كما نبينه منها ومن الايات والثاني التاويل ابن عباس وهو حبر هذه الامة وترجمان القرآن في غير ما اية وقال اذا اخفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب قال في قوله يوم يكشف عن ساق اما سمعت قول العرب قامت الحرب على ساق والوجه الرابع عارضتها الادلة العقلية فيجب تاويلها والله لا يشبهه شيء من مخلوقاته وكل ما يعقل هو في حادث وعند ذلك يستحيل وصفه بالتغير والانتقال بالحدوثات وقال تعالى الله نميسك السموات والارض ان تزولا ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وفي الطير ما يمسكهن الا الله فاذا ثبت ان الامساك الحسي غير مراد فكذلك الاصبع والاصبعان التي وردت فان صح سمعوا وادعى التسليم فقد جسموا الخ الجواب

اما قوله اخبار احاد لا تفيد العلم فليس كما ذكر بيان موافقة الاحاد للقرآن وتفسيرها له يوجب قبولها وبيان صحة الاستدلال بالراجح من الطريقين الاول ان نقول الاحاديث الواردة الصحيحة في هذا الباب توافق القرآن ويعضد بعضها بعضا وما دلت عليه وانما الحديث مع القرآن تبع الحديث مع القرآن فان الاحاد هذا والذي يحابه من موسى يخرج من مشكاة واحدة وكذلك قال ورقة بن نوفل لما ذكرت له خديجة ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الناموس الذي كان يأتي موسى فاذا كان في القرآن ان لله علما وقدرة لذكرنا قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاستخارة الصحيح اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم وقوله في حديث الرسول اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق وتحقق ذلك فهو لو سمعت وكذلك اذا ذكرنا قول الصحيح لاهل الجنة لا اعطيكم ما هو افضل من ذلك احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا وقول لا بأس في حديث الشفاعة الصحيح ان رب قد يغضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واذا ذكرنا قول ابن الله يجب العبد التقي الغني الخفي وان الله يحب العبد المحترف الكسوب وان الله يحب من راعى عياله على ما رزقه من شطبة ويحب رياش قنع بقوت عياله وقريب منه أو ذكرنا قوله لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ونحو ذلك فانما نذكر هذه الاحاديث هو افقة لكتاب الله تعالى من غضبه ورضوانه ومحبته وبغضه ومشيته ونحو ذلك ولهذا كان ائمة السلف يذكرون الايات وما ناسبها من الاحاديث في هذا الباب وسائر ابواب العلم مثل ذكر اية الظهار في الصيام

والحج

الجواب عن الجواب يتوقف الوهاب انها مجموع طرقها صحيحة متواترة تفيد العلم اليقيني عند من اطلع عليه بحيث لم يتمار فيه اثنان ممن له المعرفة في ذلك وان لم تفد ذلك عند غيرهم لقصورهم عن المعرفة الصحيحة بالاسانيد والعلل الصحيح الواضح وانما العلل القوادح وانما عارضها عند من عارضها لما بلغه من ذلك وقد اخبر الله سبحانه وتعالى انه يقول الحق وهو يهدي السبيل والله اعلم

كفر الله به من خطاياه اخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم فالعذاب
الذي يعذب به الميت في قبره من جنس الالام التي تحصل له في الدنيا وقد يكون
غير ذلك ولهذا ورد في حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في
السنن انه قال لنسوة في جنازة ارحمن ماردن ان غيرها جوعن فاكلن
تقتلن الحي وتوذين الميت ولهذا في سنن ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى ان تتبع الجنازة بصوت او نار وضرب عمر الخطاب نائحة فقيل له فزيدا
شعرها فقال انه لا حرمة لها انها تنهى عن الصبر وقد امر الله به وتامر بالجزع
وقد نهى الله عنه وتفتن الحي وتوذي الميت وتبيع عبرتها وتبكي بشجو غيرها
انها لا تبكي على ميت ولكن تبكي على احد ذرا هم وهذا الالم والعذاب الذي
يحصل للميت بالنياحة موجود كما دلت عليه احاديث مثل حديث عبد الله بن
رواحة لما غشي على اخته تبكي واجبلاه وانك اردت عليه فقال حين افاق
ما قلت لي شيا الا قيل لي انت كذلك فلما مات لم تبك عليه ومثل هذا عرف عن عمر
عبد الله بن رواحة فانه يوجد الميت يشتكي من تالمه ببكا الحي عليه ويكتئب
في المنام وغيره في ذلك لامور متعددة وقد يتعذب لبكي الحي بما يسمعه
ويراه ويشمه من احوال غيره فهذا امر موجود في الدنيا والاخرة ثم ذلك
الالم الذي يحصل للميت في البرزخ اذا لم يكن له فيه ذنب من جنس الصفقة
وانتهاء منكر ونكير ومن جنس اهوال القيمة يكفر الله به خطايا المومن ويكون من
عقوبة الكافر ولا ينقطع التكليف والعذاب لا بدخول دار الجزاء اي الجنة فاما
البرزخ وعرصة القيمة فيكون فيها هذا كله وايضا من عقوبات الذنوب
ما يصيب غير المعاقب ويكون مصيبة في حقه كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان
فيهم ثم بعثوا على نياتهم وفي الحديث الصحيح يغزو هذا البيت جيش
فبينما هم ببيداء من الارض اذ خسف بهم فقيل يا رسول الله فيهم المكره قال
يبعثون على نياتهم وكذلك الحرب ونحوه مما يصيب غير المذنبين وكذلك ما ثبت
في الصحيح من مناداة اهل القليب وقوله عليه السلام لهم هل وجدتم ما وعد ربكم
حقا وقول بعض الصحابة يا رسول الله اتدعوا اقواما قد جيفوا
فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم وما ثبت في الصحيح من قول عايشة انهم

الذي رواه البخاري في صحيحه عن الشعبي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليعلمون

ليعلمون الان ان ما كنت اقول لهم حق وقد قال الله تعالى انك لا تسمع الموتى
وفي الصحيحين عن عروة بن الزبير قال ذكر عند عايشة ان ابن عمر يرفع الى النبي صلى
الله عليه وسلم ان الميت يعذب في قبره ببكا اهله عليه فقالت وهل انما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب بخطيئته او بذنبه وان اهله ليبكون عليه
الان وذلك مثل قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب يوم بدر وفيه
قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال انهم ليسمعون ما اقول وقد وهل انما
قال انهم ليعلمون الان ان ما كنت اقول لهم حق ثم قرات انك لا تسمع الموتى
وما انت بمسمع من في القبور يقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار وفي لفظ
البخاري عن نافع ان ابن عمر اخبرهم ان طلع النبي صلى الله عليه وسلم على اهل
القليب فقال وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له تدعو امواتا فقال ما انتم
باسمع منهم ولكن لا يجيبون ومن المعلوم ان سمع الموتى قد ثبت بنصوص
متواترة من حديث انس وغيره ومثل قوله في الحديث المتفق عليه انه
ليسمع قرع نعالهم حين ينصرفون عنه مدبرين وقوله في حديث ثابت ما من رجل مر
بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه الله عليه ورد عليه
السلام وقوله ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
ومثل الاحاديث المتواترة في السلام على الموتى وهذا باب واسع
والحديث الذي رواه تريد ذلك وهو انهم يعلمون فالذي يجوز ان يعلم يجوز
ان يسمع كما انا كان فان الموت ينافي العلم كما ينافي السمع والبصر فلو كان ما نفاه كان
ما نفاه للجميع ولهذا اكاد اجزم هو المسلمين على مقتضى الحديث فهذا ونحوه
من المسايل الخبرية العلمية التي هي من جنس مسايل الاعتقاد والاصول العلمية ولها
في المسايل العملية فكثيرا ما مثل ما في الصحيحين لما سيل ابن مسعود عن
صيد الكلب فني عنه فذكر له ابو موسى حديث عمار فقال لهم ترى عمر لم يقنع به
وذكر له اية التيمم فلم يجب بشي غير انه قال لو رخصنا لهم في هذا لاوشك
احدهم اذا وجد البرد ان يتيمم ومعلوم ان حذيفة عمارا ممكن
رده وعمر رضي الله عنه لم يرده عليه عمار ولكن نسيه وقال لعمار اوليك من
ذلك ما توليت يعني حديث به انت والاية لا يمكن تركها بهذا القياس
وهو ان التيمم للجنب مستلزم للتيمم عند البرد بل مثل هذا الذي يسمعه

الفقها مصلحة مهدرة ثم يقال ان كان هذا القياس صحيحا لزم جواز التيمم
عند خوف التفرد بالبرد وهذا اللازم حق وقد سلك هذا طوايف من
المفتيين والمشايخ والامرا وغيرهم لكن من المعلوم ان الصواب الذي امرنا بـ
اتباع النصوص وان لا نرد بها عما جاءت به من مصلحة او مفسدة ولهذا اتفق ايمة
العلما على تيمم الجنب لولا له الكتاب والسنة على ذلك به علة احاديث كحديث
عمار وعمران بن حصين وهما في الصحيحين وعمر وابن العاصي وصاحب الشجة
وهي احاديث جيدة ولم يرد ان يتركوا ذلك لما يخالفه من المفسدة بل عمر بين للناس
بها والنهي عن التيمم مشروع عند عدم الماء وعند خشية الضرر باستعماله
كما في القرآن لحديث عمار ونحوه للمقادم وحديث صاحب الشجة وعمر والجدري
بمرض او خوف مرض فتاخير الصلاة مع الجنابة حتى يجد الماء قد ثبت
عنه النبي صلى الله عليه وسلم به في غير حديث وكذلك اغتسال المريض وقد قال
في صاحب الشجة قتلوه قتلهم الله هلا سالوا الا انما يعلمون فانما شفا العي
السوال ومع هذا فقد تاول خلق من ذلك من اعيان الصحابة في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته وان الجنب لا يصلي وانه يغتسل مع مرضه
وكذلك كان ابو هريرة يحدث باحاديث فينكرها بعضهم ثم يرجعون الى الحق
مثل توقف ابن عمر عن قوله ان المصلي على الجنازة لم تفرط حتى سالوا
عايشة فروت ذلك ايضا وكذلك حديث فاطمة بنت قيس وحديث
بروع بنت واشق وامثال ذلك كثيرة مما علمنا احد من الصحابة والتابعين
مع فضل عقلهم وعلمهم وايمانهم رد واحديث صحيح صحيحا وتاويله على خلاف
مقتضاه لمخالفة ظاهر للقرائن فهمهم والمخالفة المعقول او القياس الكان
الصواب مع الحديث ومن بعدهم فكيف بمن بعدهم وهذا من معجزات
الرسول وايات حفظه بيانه وشرعه وسننه وهذا خاصة الصديق
مع ساير الصحابة فانه لم يعرف له فتوى ولا كلام يخالف شيا من الاحاديث
بل عمل فيه التصديق بها وبنا وغيره من التاويل والاجتهاد ما هو
مثاب فيه على حسنه وعفو له فيه خطاوه بل كان الصديق يبين لهم
من معاني النصوص اذا اعتقد وان ظاهرها ما لا يدل عليه ويراه عدمه
كما قال له عمر عام الحديبية الم يحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ناتي هذا

البيت

البيت ونطوف به قال اقال لك انك تاتيه هذا العام قال لا قال فانك آتيه ومطوف
به وكان عمر لما سال النبي صلى الله عليه وسلم عما به هذا الجواب وهو جواب
حق فان اللفظ مطلق لم يوقت فيه شيا فتخصيصه بذلك العام كان بفطن السمع
لما راى حركة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الى البيت ظن ان الوعد تنجيزهم
في ذلك العام ولم يكن ذلك في ظاهر لفظ الوعد وكذلك لما قال له عمر كيف نقاتل
الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على
الله تعالى فقال له ابو بكر الم يقل الا بحقها فان الزكاة من حقها والله لو
منعوني عناقا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
عليها منعها قال عمر فما هو الا ان رايت ان الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال
فعلمت انه الحق وهذا المعنى الذي ذكره ابو بكر هو مصرح به في الحديث الاخر
الذي في الصحيحين من رواية ابن عمر حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فجعل
معارضا لهذا فقد بين به ابو بكر عدم المعارضة وبين ان الحق فيه ايضا
لقوله الا بحقها اي لا يحل دماؤهم واموالهم الا بحقها اي لا تباح في الباطل
بل بحقها والزكاة هي من حق الذي اوجبه الله عليهم فاذا قاتلهم عليها فهذا
الحق تم بين انهم لو تركوا من الحق شيا قليلا لقاتلهم عنه فقال والله
لو منعوني عناقا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
عليها منعها وكلا الحديثين حق فان الكافر المحارب اذا نطق بالشهادتين
حرم حينيذ قتاله ثم بعد ذلك اذا اقام الصلاة واتى الزكاة والا قوتل عليها
كما بينه في الحديث الاخر ثم بعد ذلك ان تركوا شيا من حقها مثل
ان يبخلوا الربا او يمتنعوا من تركه او نحو ذلك كما توافد حاله بوا الله ورسوله
وقوتلوا ايضا على ذلك وانما هي مراتب فالكلمتان هما اس الاسلام من الكلام
والصلاة والزكاة هما اس العمل فتارة يذكر الاصل الذي هو الاعتقاد و
الكلام وتارة يقرن به الاصل الاخر من العمل والاقتصاد ثم يدرج سايو
الدين امواله تعالى يكفي به القتال عليه في قوله الا بحقها كما قال
تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فقوله عصموا مني

امرت ح

الذي

دماهم واموالهم الا بحقها كقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
وقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ونظاير هذه المقامات للصديق كثيرة
يفقههم فيما خفي عليهم او اذهلوا عنه من معاني الكتاب والسنة كتلاوته قوله
تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم
وفي روايته لهم احاديث لم يعرفوها كالحديث في نبي صلى الله عليه وسلم
وغيره وكجوابه لهم فيما يشكل عليهم من معاني القرآن والحديث وبيان ان ظاهره
حق وان من ظن ان ظاهره ليس بحق فهو المخطئ في ذلك وانه لم يوجد لم فتوى
قط ولا امر ولا لهم مخالف شيا من النصوص كما وجد لغيره ولهذا احكى غير
واحد من العلماء اجماع اهل السنة والجماعة على انهم اعلم الصحابة فهو اعلمهم
واشجعهم واجودهم واديهم باتفاق اهل المعرفة من المسلمين واعظم علم
واعانه التصديق بالنصوص النبوية خبرا وامرا واتباعها وانه لا يعارض ظنها
بشي من تاويلاته وارايه وهذا وكثير منه بين كذا ان المتبعين للحديث
هم صديقوا هذه الامة والصديقون هم افضل الخلق بعد الانبيا ومن كان
منهم اعظم اتباعا له كان اعظمهم تصديقا واما الخوارج عن السنة والجماعة
فاما ان يكونوا من جنس ذي الخويصرة وامثاله من الخوارج واما ان يكونوا من
جنس عبد الله بن ابي وامثاله من المنافقين واما ان يكونوا من جنس مسيلمة
الكذاب واتباعه الذين الذين جعلوا مع الرسول نظيرا له واما ان يكونوا من
من جنس مانعي الزكاة وامثالهم ممن اقر ببعض واجبات الدين وبعض ما جا
به الرسول دون بعض وهذا امر معلوم لا يحتاج كل احد عن شريعة النبي
صلى الله عليه وسلم وسنته وجماعة المسلمين المقرين بالشهادتين الا وهو اما منافق
واما مبتدع مارق كالذين كانوا على عهده واما مرتد عن بعض دينه واما
جاهل معه نظير له وهما متلازمان فان من جعل معه نظيرا لا يدان يرتد
عن بعض دينه ومن ارتد عن بعض دينه فلا بد وان يطيع في ترك ذلك البعض
لغيره وهو لا من المنافقين الذين قاتلهم الصديق والصحابة اجمعون والخوارج
هم الحرورية الذين قاتلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب واصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبنصوصه لا بالاجتهاد والراي والتاويل
واما المنافقون فانهم وان لم يقاتلوا اذا لم يظهروا الا الطاعة لله ورسوله

فهم في الاخرة في الدرك الاسفل من النار فهذا حال المحارب والمسالم
من الخوارج جميعا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين من
المقرين بالشهادتين فاما مسالم يقر بالشهادتين من المشركين واهل الكتاب
فامره ظاهر وانما الغرض من قد يشمله لفظ مسلم لظهور اسلامه بالشهادتين
وان كان الايمان لم يدخل قلبه او كان في قلبه مرض او قد امر ندعن بعضه
فهذا هذا والله اعلم وقد تبين بذلك ان الاحاديث الموجبة من
الصحاح منها ومنها ما شيا ومنها ما ظاهره معنى يعتقد انه مخالف للقران
او للعقل فمن نفسه اتى وان المقربين للنصوص هم ارفع الخلق واعلاهم
طبقة اذ جمعوا المعرفة بحقائق الخطاب والفهم فان الصديق رضي الله عنه
كان اعلمهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم وافهمهم لمعاني زايدة من الخطاب
لانتفاء مجرد اللغة والعلم باللسان بل لما في من الفهم الذي يوتيه الله
عبده كما في الصحيحين عن ابي سعيد قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد
ما عند الله فبكى ابو بكر وقال بل نفديك باباينا وامهاتنا فقلت في نفسي ما يبكي هذا
الشيخ ان يكون الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختاره وذلك العبد هو باعند
الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العبد وكان ابو بكر اعلمنا به فقال
يا ابا بكر لا تبكين ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين في المسجد خوخة
باب الا سد الا باب ابي بكر وكذلك رواه البخاري عن عكرمة عن ابن عباس
قال لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا راسه
بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان ليس احد في الناس
امن علي في نفسه وماله من ابي بكر بن ابي قحافة ولو كنت متخذا من الناس
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل صدوا عني كل
خوخة في هذا المسجد غير خوخة ابي بكر وقد كان هذا الجنس من
الاستشكال والمعارضة يورد على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فتبين
عدم وروده مثل ما في الصحيحين عن عائشة قالت قال النبي صلى الله
عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قلت يا رسول اليس يقول الله تعالى

في كتابه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال
ذلك العرض والايسار حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا بعارض هذه
الاية فانما قال من نوقش الحساب عذب والاية انما فيها ذكر الحساب اليسير ليس
فيها المناقشة لكن لما اثبت القرآن حسابا بالسعيد ظن السامع ان ذلك من المناقشة
في الحساب وليس كذلك مراده النبي صلى الله عليه وسلم بيانا ان ذلك الحساب اليسير
هو العرض وهو ان تعرض على اعماله ليعلمها ويعلم رحمة الله له بالعفو عنه
كما في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليدنى
المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول اتعرف ذنب كذا وكذا اتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم
يارب فيقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم واما الكفار والمنافقون
فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين فحساب العرض والتعريف ليس هو المناقشة وانما المناقشة تكون
عند المواجهة والمقابلة اذا ومن نوقش حسابه يسأله من غير عفو وهذا لمن
ومثل هذا حديث حفصة لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد
بايع تحت الشجرة وقالت اليس الله تعالى يقول وان منكم الا واردها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى الله الذين اتقوا فبين ان هذا الورود ليس هو من
الدخول المنفي اذ هو المرور على الصراط فهو اما ان لا يسمى دخولا واما ان لا يدخل
في مطلق دخول النار فاذا كانت احاديث الصحيحة الجزمية والطلبية
في الاصول والفروع لا يعلم منها حديث اصاب من عارضه او خالف
ظاهره بغير حديث اخر فكيف يكون القرآن وهذا هو سنة الملة التي
يستشكلها كثير من الناس من كلام الشافعي وهو ان القرآن لا ينسخ السنة
وقد وافقه على ذلك اصحاب احمد في احد القولين وهو احد الوجهين عن
احمد واظهر القاضي قوله وان كان كثير من اصحابه على الاخر بل حتى قال طائفة
من اصحاب الشافعي واحمد ان القرآن لا يخص عموم السنة ولا يبين القرآن
السنة وهذا مما عني به ابو عبيد واحد من السلف انهم
قالوا السنة تقضي على القرآن والقرآن لا يقضي على السنة وسيل الامام
احمد عن ذلك فقال لم اجترئ هذا اللفظ ولكن السنة تفسر القرآن وتبينه
وتدل عليه وتعبر عنه فعدل عن لفظ تقضي عليه لانها تشعر المخاطبين
وتدل عليه وتعبر عنه فعدل عن لفظ تقضي عليه لانها تشعر المخاطبين

فيه منه بانها اعلا منه الى لفظ البيان والتفسير وهذا هو الذي قصده
اولئك وقولهم تقضي على منزلة قول الفقهاء ترجح الخاص على العام وان كان
الخاص دون العام في الرتبة وكثير من اهل الكلام والفقه ينكرون هذا ويقولون
كيف لا يكون الدليل الا قولين ناسخا ومخصصا لما دونه ولهم فيه مصنفات مراد من قال ذلك
من الائمة فانهم قالوا اذا سن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة وجاء القرآن
بنسخها فلا بد ان يكون من النبي صلى الله عليه وسلم من طاعة كتاب
الله ما يخالف السنة الاولى فلا تكون السنة منسوخة بالقرآن الا ومع القرآن
سنة توافقه وهذا حق وكذلك قال من قال السنة هي المفسرة للقرآن المبينة له
فكيف يكون القرآن مفسرا لها مبينا لها ومقصودهم بهذا الرد على من يعارض
سنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة بما يظنه هو ناسخا لها من
ايات في القرآن فيقال له لو كانت منسوخة لكان في السنة ما يبين ذلك
كما قال يزيد بن عبد الله بن الشخير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسخ
بعضه بعضا كما ينسخ القرآن بعضه بعضا ولهذا كان ظاهر مذهب احمد وهو
مذهب الشافعي ان القرآن لا ينسخه الا قرآن لا ينسخه حجة والسنة ايضا
وان كانت السنة مفسرة له ومبينة له بلا نزاع وقد خالفهم
في ذلك اكثر اهل الكلام وطوائف من الفقهاء وهو الرواية الاخرى عن احمد التي
يختارها اكثر اصحابه وهذا النزاع في جواز ذلك واما الوقوع فكما علم
قالي ساعي هذه حديثا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم يجب تركه
لاحديث صحيح يعارضه ناسخا ومفسرا الا علم ما يجب تركه من الحديث الصحيح
لمخالفة ظاهر القرآن او العقل وبعض للقرآن الا ان يكون قد جاء حديث اخر
يخالفه كما قاله الشافعي رضي الله عنه فانه كان من ابغض الناس باصول الفقه
واعلمهم بالجمع بين المتعارضة ناسخا ومنسوخا ومجملها ومفسرها
ولهذا تكلم على مختلف الحديث وكان يدعي بغداد ناصر الحديث وصح
بما ذكره فردوس شيخ الاسلام في كتاب ذم الكلام عن الربيع قال سمعت
الشافعي يأتي شيء يثبت الخبر قال اذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يترك له حديث الا حديث واحد
يخالف حديثه فذهب الى اثبت الروايتين ويكون احدهما منسوخا فيعمل

بالناسخ وان تكافيا اذ هب الى اشبههما بكتاب الله وسنة نبيه فيما سواهما
وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغن بنفسه واذا كان يروى عن
عن فلان حديث يخالف قد لم التفت اليه وحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولى ولو علم من روى عنه خلاف سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتقنها ارشاك الله وله وللامام احمد وغيرها من الائمة
من الكلام ما لا يفهم عزمه كثير من الناس كما لائمة السلف قبلهم فتجد
من يفتي بظاهر من القول ممن الوظريقة بعض المتاخرين واصطلاحهم
لا يعرف اصطلاحهم ولا يعرف بقصدهم ومعناهم بل ربما يجهل عن اللفظ
والمعنى جميعا ولهذا كان هو لاء الائمة الذين اشتهر وا بالامامة في
الحديث مثل الشافعي واحمد واسحق وابي عبيد وغيرهم من ائمة الاقاليم
لم يقتهم انهم لا يريدون شيئا من الحديث الصحيح لا في المسايل الخبرية
ولا الشرعية لا في الاصول ولا في الفروع لا يريدون على خلافه ما يظن في قياس
او معقول او مخالف ظاهر من القرآن كما بيناه انه لا يوجد حديث صحيح
صريح يخالف ظاهر القرآن ولا يعارضه لكن قد يعارض الرجل اصلا احيانا لخفاء وجه
الغلط وكذلك اصول سايرالائمة وجميع السلف على ان الاخبار
الصحيحة مقبولة في جميع ابواب العلم الخبرية والعملية الاصول و
الفروع لم يكن في السلف ولا في الائمة من يرد الخبر في باب من ابواب العلم
بانه خبر واحد ولم ينشا ذلك الا من اهل البدع ولهذا مازال
علما السنة يقبلون الخبر الصحيح ويبينون اتفاق الاخبار المتعارضة
عند بعض الناس ووضع كل حديث موضعه وان من الاحاديث كما جاء
لا نرد بتكذيب ولا بتخريف ولم يكن في ائمة المسلمين من يقول هذا اخبر
واحد في المسايل العلمية فلا يقبل او هذا خبر واحد مخالف للعقل
فلا يقبل ومن قال شيا من هذا عدوه من اهل البدع لكونه يعارض
السنة الصحيحة بما لم يجيء عن الرسول وكلام الرسول لا يعارضه الا كلام
الرسول لكن قد كان بعضهم يعارض الخبر المفرد بما يظن ظاهر
من القرآن واما بما يعتقده من الاجماع ونحو ذلك من الادلة الشرعية
فهذا قد كان يقع في بعض السلف كقول عمر لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا

لقول

لقول امراة لا ندري هل حفظت او نسيت وقول من وان فاحذ بالقصة
التي وجد نا عليها الناس وما ذكرت عن عايشة في مواضع منه وبعض
الحديث بظاهر من القرآن وكذلك ما يوجد في مذهب اهل المدينة
من تقديم العمل الذي يجعلونه اجماعا على الخبر ويستدلون بذلك على
نسخه فهذا ونحوه قد كان يقع من بعضهم وما علمت انه وقع من
ذلك شيء الا والصواب خلافه كما تقدم التنبيه عليه ولهذا قال الامام احمد
اذا وجدت الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو سنته يجب اتباعها
ولا يلتفت الى غيره من قياس او عمل وكان هو وغيره من الائمة يجعلون
من اكابر اهل البدع من يرد الاخبار الصحاح في الامور الخبرية او العملية في اصول
او فروع ولهذا كان الشافعي يقول دايما اذا صح الحديث فانه مذهبي والطحاوي
وكان يقدم الخبر الصحيح على كل ما يدعي من هذه المعارضات وهذا القدر انما
استفاده لائمة الحديث لا لما عرف به وبصحبته فضلهم من اليقين بصحته ما
ليس عند غيرهم ممن لم يعلم منه ما علموه وقد علموا من ضعف المعارض
ما لم يعلمه غيرهم ولهذا نجد غيرهم يذكر احاديث مستفيضة متلقاة
بالقبول واحاديث ضعيفة او موضوعة والجميع عنده من جنس واحد
وهو خبر واحد فيقبل هذا الجنس الذي فيه الحق والباطل مطلقا اذا وافق
بعض اصوله ويخالف اذا خالف بعض اصوله وهو لا يدعون من اهل
الحديث بل الرد على هذا من فعل اهل الاهواء والبدع كما قال وكيع بن الجراح
من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة ومن طلبه ليقوي به رايه فهو
صاحب بدعة ويروى عن وكيع وعبد الرحمن بن مهدي وابن حنبل
قال اهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم واهل الاهواء لا يكتبون الا ما لهم
وهذا حق فان الذي يقبل من الحديث ما وافق رايه وهواه بمنزلة
الذين يقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من
بعد ذلك وما اولئك بالمومنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين
افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله

قوله

ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وعزوه الذين
قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب
سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته
فلن يملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون
للسحت الآية ولهذا كان طائفة من اهل الحديث لا يحدثون بحديث
النبي صلى الله عليه وسلم الا اهل الاهواء لا يقبلونه على وجهه
بل يقبلون منه ما وافق آراءهم واهواءهم لموافقته لاهوائهم واهوائهم
لا تكون في نفسه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فيصيرون
بمنزلة اهل الكتاب والمنافقين الذين يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
وان لم تؤتوه فاحذروا وهؤلاء قد يخبر الشارع عليه السلام بين
الحكم بينهم وتركه وقد يكون الترك اصلح كما قد يكون الحكم اصلح
وهذا حال جميع اهل الاهواء في الحديث وهو حال كثير منهم
في القرآن في المواضع التي يزعمون انها لا يقبل الا بعقلهم مثل
مسايل التوحيد والصفات والقدر ونحو ذلك مما يقع فيه خلايق
من المتكلمة والمتصوفة الا من رحم ربك ان يحتجوا بالقرآن للاعتماد لا
للاعتضاد ولهذا يقبلون الآيات الموافقة لمطلوبهم وهواهم
التي يسمونها محكمات ويحملون الآيات المخالفة لهم من المتشابهات
التي لا يعلم تاويلها ولهذا كان السلف يسمونهم اهل الاهواء
وهو موجود ايضا في غالب الخلق من العلماء والامراء ومن دخل فيهم من
المشايخ والملوك ونحوهم في كثير من امور الدين القولية والعملية وان
كانت مما يسوغ فيه الاجتهاد فان من اعتقد قولا او عملا وصار لا يجب
من نصوص الكتاب والسنة وادلة الحق الا ما وافق هواه في ذلك
القول والعمل ويمحض الحق الذي يخالفه فهو صاحب هوى ولذلك
لو علم ان قوله وعمله ليس بصحيح ولم يعط ما شرعه ما يستحق من الحق بل

زاد

زاد في ذمه على ما شرعه الله ورسوله كان صاحب هوى وهذا هو اصل
الفرق بين اهل الاهواء وحديثا فان اتباع الهوى بغير طلب
الحق بين قال الله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وهذه اية عظيمة في سورة
عظيمة امر الله رسوله ان يخص ابيا بتبليغها له وقرأها عليه ليسمعها
وتلقنها هو من النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان الله امرني ان
اقرأ عليك هذه السورة قال وسميت قال نعم فبكى ابي فاخبر بشرفهم
وما امروا به بعد قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها
كتب قيمة وينبغي ان يتدبر المؤمن قوله وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة فان الله اخبر انه لم
يامرهم الا بهذا وان هذا هو دين القيمة وهكذا في جميع الرسل حتى ان خاتم
الرسل اخبر انه امر بقتال الناس على هذا فقال في الحديث المتفق عليه في
الصحيحين امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وان يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وفي رواية حتى يعبدوا الله وحده هذا
تحقيق قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ولهذا
قال سبحانه واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة
يعبدون وقال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر سبحانه انه خلق الخلق
لعبادته وارسل جميع الرسل تامر بعبادته وحده وبذلك وصف
المؤمنون الذين ظلموا كقول مؤمن ال فرعون اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله وقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان
الله لعلى نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان
يقولوا ربنا الله وامر خاتم الرسل مع دعوته جميع الناس
الى ذلك ان يقاتل جميع الناس على ذلك واباح لمن امتنع عن

عبادة الله وحده ان يسترقه ويستعبده ويستغني ماله فان الله انما خلقه
لعبادته وجعل المال عونا على عبادته وطاعته فاذا استغنى عن عبادة ربه باح ان
يبني المال الذي في عبادة المومنين الذين يعبدون الله وحده فانتم المستحقون لذلك
في دينه الذي هو عبادته وحده وان يسترقوا تلك الانفس فان اخذتها من يعبد
الله خير من معانقتها لهم فسبب الرق سببه الكفر وهو من العقوبات
والعقوبات لا تسقط بحر والتوبة بعد القدرة ولهذا كان المحارب اذا اسلم
قبل القدرة عليه عصم دمه وماله وهو في سلطانه من ولده الصغار وماله كان
حرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للاسير العقيلي لما قال اني مسلم
اما انك لو قلتها وانت تملك امرك افلحت كل الفلاح واذا اسلم بعد القدرة
على عصم دمه فقط لان الاسلام هو المطلوب بالقتال ولهذا من كانت
ردته لحرابة فاسلم بعد القدرة عليه عصم ايضا دمه الان الاسلام
يجب ما قبله من عقوبة الكفر ولهذا لما كان الله تعالى انما خلق العباد له
وحده لا شريك له وبذلك بعث رسله وانزل كتبه كان الخروج عن ذلك
بالكلية وهو الشرك غير مغفور كما قد بين في غير هذا الموضع وكان معه
مثقال ذرة من ايمان يخرج من النار والعبادة اصلها عبادة القلب وهي
غاية الذل بغاية الحب وذلك انما يكون لشعور في القلب وعلم واحساس
وباعتبار قصد واختيار فالمستكبر عن عبادة الله تعالى ليس بمسلم
والمشرك الذي يعبده ويعبد غيره ليس بمسلم والاسلام يضاد الاستكبار
والاشراك جميعا ومن المعلوم ان كلا من اعراض عبادة الله وحده فلا
بد ان يهوى قلبه ويحب شيئا حتى قال العبد كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اصدق الاسماء الحرث وهمام هو همام لا بد له من نية والهمة
اول النية فالهمة من هم مثل النية من نوى وهي الفعلة بواديها نوع
من الارادة ويراد بها نفس الشيء المراد اذ المصدر يطلق على المفعول
فنفس المنوي المقصود يقال له نوى وقصد كما يقال هذه النوى للجهة التي
يقصدها المسافر وكل من لم يعبد الله وحده فانما يعبد هواه اي
ما يهواه فانه اذا كان هما ما يريد ولم يرد الله فلا بد ان يريد غيره
وذلك هو هواه والهوى يقال له المهوي المحبوب كما يقال النوى

والنية القصد للمنوي المقصود كما تقدم فعلى كان كل من لم يعبد
الله فانما يعبد هواه وما يهواه ويحب نفسه قال تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او
يعقلون انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون انه جعل الهه الذي يقبده
هو ما يهواه ويحبه ولهذا قال الفقهاء في صفة المشركين يعبدون ما
يستحسنون وقد اشار تعالى الى هذا المعنى في قول ابراهيم لابيه
لا قلبن ومن المعلوم ان الحي مني اشبع ما يهواه بلا علم كان ضالا بمنزلة
الذي يتحرك ويسير كاليد حيث الى اين ولهذا قال تعالى وان كثيرا ليضلون
باهوائهم بغير علم وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
ان الله لا يهدي القوم الظالمين فمن لم يرد الله بعلمه وقوله
فهو صاحب هوى ومن اراده ولم يسلك الطريق التي شرعها فهو
صاحب هوى ولهذا كانت سمى اهل البدع انهم اهل الاهواء ولهذا
كان الواجب ان يكون العمل لله وان يكون على السنة وهذا مقصود
الشهادتين بشهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا رسول الله
فان عبادة الله وحده لا شريك لها هو اخلاص الدين له واتباع رسوله
فيما بلغه عنه من الشريعة هو العمل بالسنة وذلك هو العمل الصالح
ولهذا كان عمر بن الخطاب يدعو فيقول اللهم اجعل عملي كله صالحا
ولا تجعل لاحد فيه شيئا وهذا تاويل قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقال الفضيل
ابن عياض في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال خلصه واصوبه قالوا
يا ابا علي ما خلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا
لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا
والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة يعني ان يكون
مما شرعه الله وهو ما امر به ايجاب او استحباب فان اراد غير
الله لم يكن عابدا لله سواء عبد هما جميعا او عبد ما دونه فقط كما

ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول انا اغنى الشركاء فمن عمل عملا فاشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو كله للذي اشرك ومن عبده بما ليس من الواجب والمستحب الذي يحبه لم يكن عمله حسنا ولا صالحا ولا خيرا فان كل حسن وكل صالح وكل خير فالله يحبه ويامر به ويشرعه وهو من شرعته وسنته وسبيله ومنهاجه فما لم يكن من المشروع لم يكن من المحبوب والامر الحسن وان كان قد يكون من المشروع مما يعتقد قوم انه ليس منه كما قد يكون في غير المحبوب ما يعتقد قوم انه منه واذا كان كذلك فما جعله الله سبحانه في الانسان من المحبة والبغضة انما ينبغي ان يدل على المحبة المقصودة لنفسها وهي عبادة الله وحده مثل محبة الاكل والشرب والنكاح وبغض الموذيات ان فعله بنية الاستعانة على ما خلق له كان داخلا في عبادته وكان له على الاجر كما قال صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في فم امراتك وقال نفقة المسلم على اهله يحتسبها صدقة بل نفقة المرء على نفسه وعياله افضل من نفقته على من لا تلزمه نفقته لان ذلك واجب وما تقرب العباد الى الله بمثل اداء ما افترض عليهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت وقال خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدا بمن تعول وقال ايضا يا ابن آدم انك ان تنفق الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وكل هذه الاحاديث في الصحاح وقال دينار انفقته في سبيل الله ودينار اعطيته لمسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وهذا حديث ثابت ايضا ولكن الناس يفعلون ذلك طبعا وعادة لا ينتفون به وجه الله تعالى كما يفعلون في قضاء الديون من اثمان المبيعات والقروض وغير ذلك من المعاوضات والحقوق وهذه كلها واجبات فمن فعلها ابتغاء وجه الله كان له عليها من الاجر اعظم من اجر المتصدق ناقلة لكن يتصدق احدهم بالشيء اليسير على المسكين وابن السبيل

ومحو

ويمحو ذلك لوجه الله تعالى فيجد طعم الايمان والعبادة لله ويعطي في هذه الوقاحة فلا يجد في ذلك طعم الايمان والعبادة لانه لم ينفقه ابتغاء وجه الله فمن هذا الوجه صار في عرفهم ان هذه النفقات التي لا بد منها ليست عبادة وقد لا يستشعرون ايجاب الشارع لها وانما يستشعر احدهم ما في تركه من المضرة العاجلة اما في نفسه واما من جهة الخلق فانهم لا يتركون حقوقهم فهو يفعلها لرغبتهم ورهبتهم وللعادة التي هو عليها وقد يفعلها لمحبة الخلق ورغبة فيه من غير ان يرجو احدا وكما ان من عوان يفعلها تقيدا وهذا حسن لا بأس به فان من فعل الحسنات لاجلها حسنات نفقه ذلك كما ينفع الحيوان اكله وشربه لكن لا يكون عبادة لله بحلان من لا يفعله الا خوفا من الخلق فان هذا مذموم ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليرى مكانه فاي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وهذا يكون في القتال باليد واللسان وانفاق المال وذلك كله يكون جهادا لكن ما ليس في سبيل الله منه مما لا يعاقب عليه المرء ومنه ما يعاقب عليه والمقصود هنا ان هذه الامور العادية المباحة تفعل لمحبة وهوى وارادة فان كان ذلك يستعان بها على عبادة الله كانت طاعة وعبادة وان كان ذلك لمجرد العادة والطبع فقد الوجه الحق لم يكن ذلك معصية ولا اثما وان لم يقصد بها صاحبها العبادة لله فقولنا كل من لم يقصد الله ويريده بعمله فلا بد ان يقصد غيره ويعبد هواه ليس هو في هذه الامور التي تراد لمصلحة العبد وهي مشتركة بين المؤمن والكافر وكلاهما يستعين بها على دينه وقد يقال لها الامور الدنيوية ومصالح الدنيا وهي الدماء والاموال والاعراض التي جعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر الاكبر وقال ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وقال ليبلغ الشاهد الغائب وهذا الحديث من اشهر الاحاديث التي في الصحاح من حديث ابي بكرة وابن عباس وابن عمر ويتبع ذلك الانتفاع ومنافع الاموال والاستمتاع فان هذه الاخرج

بيان ذم

مطالب فصل النفقة على العيال

عن النفوس والاموال وانما هو فيما يكون مراد القلب ومقصوده الذي
ينتهي اليه قصده وارادته اذ هذه الامور تراد لغيرها والله تعالى انما بعث
الرسل بها وحامدة له فذلك هو الدين وقد امر الله تعالى ان يكون الدين
كله لله وامر بقتال الخلق حتى يكون الدين كله لله وهو نوعان
اقوال من جنس الاعتقادات العلمية وافعال تتضمن الارادات القلبية
فهذا ان الصفات يجب ان يكون لله وحده وان يكون ما حرموا عن
رسول الله فان الدين هو شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا
رسول الله فمن قصر بالاعتقادات الدينية والاعمال الدينية
غير الله فهو مشرك في ذلك والشرك في هذه الامة اخفى من دبيب
النمل والناس كما قال الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
وان كان شرك دون شرك وكفر دون كفر لكن نعلم ان كان هكذا الله
ليس دينه كله لله بل بعضه لغير الله وعلى ان يكون دينه كله لله
وان ما لم يكن من دينه لله فهو في متبع هواه ولهذا كان امر
التوحيد واخلاص الدين لله هو مقصود القرآن وهو الذي
يعظم امره ويكثر ذكره فان العبد محتاج اليه في كل وقت وفي كل شئ
والرياء والسمعة وان كان فيه شرك كما جاء في الحديث من يصلي يراي فقد
اشرك ومن صام يراي فقد اشرك وجاء ايضا في الصحيح من سمع سمع
الله به ومن راءى راءى الله به فلا ريب ان المراي يكون عمله
حابطا فلا يثاب عليه وشركه دون شرك الذي يعتقد دينا ويقصده
لغير الله فان المراي والمسمع يعلم من نفسه انه انما فعل وتقول
ليراه الناس ويسمعوا ذلك فهو يفعل ذلك لرغبة اليهم والرهبة وليس
ذلك عنده دينا ولا يظن احد ان الله يحب ان يعبد بالرياء والسمعة
البشر كفراعون وهامان وقارون وغيرهم من المشايخ والملوك وغيرهم
فهذا الشرك عظيم لكن لا يكون في مسلم صحيح الاسلام وان كان قد
وقع منه شئ شئ من المنسوبين الى الاسلام ولا ريب ان ذلك
اذا وقع كان من اعظم الشرك وهذا لا يفعله الا المعبود لاجل
به غيره واما الرياء الذي يقع من منافقي هذه الامة وذوي

حكم طلب الرياء والسمعة

المرائي

المرضى في قلوبهم فهو الذي قصدنا ان لا يتخذ دينا في الباطن وان كان
شركا وانما الذي يتخذ دينا ما يعبد المرء وما يهواه ويدين به
سواء علم انه مذموم في الدين او لم يعلم فهذا الذي يقصد به وجه الله وطاعة رسوله
كان ذلك اتباعا لهواه وكان خاما جاء من موجب الاسلام في هذا
الموضع وان كان في موضع اخر داخلا فيه وبهذا يتبين ان كثيرا
من الاحياء والرهبان والفقهاء والعبادي كلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله وان العالم الذي يعتقد الاعتقاد في
المسايل الخبرية والعلمية والعابد الذي يتعبد لنفسه انما سلكا
السبيل المشروعة والاكان كل منهما متبعا لهواه فان العالم يامر
دينه ويخبر والامر والذي يتضمن الحب والارادة والبغض والكراهة
في نفس الدين فان لم يكن الحب لله والبغض لله في الدين والاكان
هوى وشركا والاخبار يتضمن الامر باعتقاد الخبر ولهذا لما تنازع
الناس هل يسمى الفقها وغيرهم من اهل الاهواء اصحابهم منهم
طايفة كابي حامد الاسفرايني والقاضي ابي يعلى وابن عقيل وابن الزاغوني
طايفة كابن عقيل كان التحقيق انا غالبهم لهم هوى لكن ليسوا من
اهل الاهواء المطلقة المفارقة للسنة والجماعة فلهذا على
المسلم ان يتلقى ما جات به الرسل على وجهه فيريد الله بجميع
ذلك والاوقع في بدعة وشرك واتباع هوى بلا ريب وان كان
مخالفه اعظم منه في ذلك فانهم يكونون مفرقين والله تعالى انما
امرهم ان يعبدوه مخلصين لله الدين فكل ما دخل في الدين
يجب ان يخلص لله لا لغيره فيكون الله دين الله كله لله كما ان الدين
في نفسه كامل لا نقص فيه ولا تناقض كما بيناه وان بعوض الكتاب
والسنة لا يحتاج الى غيرها اصلا كما ذكرناه اولا وان كل واحد قوله
او نيت من كل شئ وقوله تبيانا لكل شئ وغير ذلك من العمومات
والظواهر التي يعلم انتفا المعنى الذي لم يرد منها بالحس والعقل
فنقول هذا فيها ظاهر يقال من الناس من يقول هي على ظاهرها
وظاهرها هو المعنى الصحيح المتفق عليه ولهذا ما خذ ان احدهما

ان القرينة المتصلة باللفظ اذا كانت لفظية بينت معناه وكان ظاهره
ما دلت عليه قالوا لذلك القرينة المتصلة وان لم تكن لفظية فالحس
والظاهر والعقل الذي يعلم به ان المخاطب لم يرد بكلامه ما يخالف
عندهم قرينة متصلة اذ لا يظن المستمع بالمخاطب انه اراد ذلك
ومن المعلوم ان فهم الخطاب لا بد فيه من علم المخاطب والمخاطب
جميعا فكما ان علم المخاطب المستمع ان المخاطب المتكلم لا يريد بلفظة
الا مفهومه ومعناه وجزء لا يحمد على غيره كذلك علم المخاطب
المتكلم ان المخاطب المستمع لا يفهم الله اراد ما يخالف حسه وعقله
قرينة وضميمة يضمها الى كلامه والماخذ الثاني ان لفظ كل
شيء هو العموم في كل موضع بحسب سياقه وهذه قرينة متصلة
ولهذا قالوا هذا اللفظ ليس على عمومه المطلق الا في قوله ان الله
بكل شيء عليم مما يصلح ان يعلم وخالق كل شيء مما يصلح ان يخلق و
تدمر كل شيء مما يصلح ان تدمر واوتيت من كل شيء مما يؤتاه مثلها
فهذه القيود عندهم معلومة في هذا اللفظ بالسياق وهذا
حقيقة عرفية في هذا اللفظ لم تستعمل الا فيه قالوا ولم يجده
مستعملا مطلقا قط الا ان السياق اقتضى ذلك واما الطريق
الثاني الذي سلم ان ظاهر هذه الالفاظ هو المعنى الذي يمتنع ارادته
لكن يقال قد بين الله بخطاب اخر انه لم يرد المعنى الممتنع فقد
بين بما ذكره من قصة سليمان انها لم تؤت ملك سليمان ونحو
ذلك وبين في القصة انها كانت ملكة سبا وللموصل حد لا يجاوزونه
فيعلم بهذا الخطاب انها لم تملك السموات ونحوها وكذلك قد بين
كل شيء مع ما اخبر به واذا كان في القرآن ما يبين عدم ارادة الظاهر
كان هذا من بيان الله ورسوله ولم يكن الله ورسوله ترك بيان
كلامه فاما اذا كان الظاهر ممتنعا ولم يبين الله ورسوله
عدم ارادته فهذا الذين من ادعاه فليظهره لينظر فيه فصل
واما قوله قابلة للتاويل فيجب ان يعلم معنى التاويل الذي
ليس فيه نزاع بين احد من عقلاء الادميين لا من المسلمين ولا من

غيرهم

غيرهم وهو ان تاويل كلام المتكلم الذي هو تفسيره وبيان المراد به
سواء كان مصروفا عن ظاهره او لم يكن انما هو بيان مراده ومقصوده
واظهار معناه ومغزاه فاذا قيل تتاول هذه الاية او هذا
الحديث او غيره ذلك من كلام سائر المتكلمين فمعناه انا نبين مراده
بهذا الكلام وان كان مخالفا للظاهر لكن لاحظ انه بيان مراد
المتكلم فاذا علم ان المتكلم لم يرد هذا المعنى وانه يمتنع ان يريد
هذا المعنى اوان في صفاته ما علمنا معه ان هذا المعنى لا يليق
به ويستحيل عليه في العادة او في غيرها ان يريده لم يصلح ان يكون
ذلك تاويل كلامه وان كان لذلك دلالة تعلم بها ان بعض المعاني
الفاسدة التي تظهر لبعد الناس غير مراده حتى يقول ما ظهر
لهذا المخطئ غير مراد فلان يكون لنا دلالة نعلم بها انه ما تاول وله عليه
المتاول المخطئ غير مراد اولى واحرى فليس لرجل كل ما ساغ في
اللغة لبعض الشعراء او الاعراب او العامة ان يحمل عليه كلام الله
وكلام رسوله الا اذا كان ذلك غير مخالف لما علم من نعت الله
ورسوله وكانت ارادة ذلك المعنى بذلك اللفظ مما يصلح ان
ينسب الى الله ورسوله فهذا اصل عظيم تحتاج معرفته
ومن اعتنى به علم ان اكثر وكثيرا مما يعد عليه المخوفون في التاويلات
هو مما يقطع بان الرسول لا يصلح ان يريده بذلك الكلام وان كان
ذلك مما يسوغ في اللغة لبعض العوام وفيما يبدي من التاويل
مواضع كثيرة لا تسوغ في اللغة فلا بد ان يكون المعنى الذي يصرف
اليه المتاول الخطاب مما يسوغ في اللغة ويسوغ اضافته الى المتكلم
صاحب الخطاب عند اهل العلم واولي الالباب ولهذا كان
المصنفون في ابطال التاويلات اذا كشفوها تبين بطلانها بادنى
نظر وقد فصلنا بطلان التاويل الذي ذكره مثل علو العظمة وذكرنا
ايضا الاستيلاء ومن نظر باقي التاويلات المخالفة للدلالة الظاهرة
راى من التخبيب ما يضحك الحمار بكى خشية وهو ما انظر تاويلات
القرامطة والقدرية والمعتزلة والرافضة ومن اتبعهم ومن

وكقوله ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وقوله
يحوم بوبدة ظاهر الي الرجز فنظر الفلاحا والمثال ذكر من الشعر الذي قد
يقال فيه انه لم يرد باسناد صحيح عن قائله بل كثير من اهل صنعة الشعر يتذيله ولو
روي باسناد فمن المعلوم ان اسانيد الحديث وكلاما كثر الرواة اكثر والعلماء بها اعلم واصدق وهم
اعداء اعجميهم لان الله فاذ الزم تفسير القرآن فتاويله بالفاظ والمعاني التي هي بين
محفوظة منقولة من امام الي امام ومن عدد الي عدد فيجوز ان يرجع في معاني القرآن الي
بيت من الشعر او كلمة من الغريب احسن حولها الا ترى انها وجد عدول عن بعض الشعر واذا
كانت الاخبار لا تفيد علما بجميع ما يذكر وبه من اللغة الغريبة والشعر المنقول بمثل ذلك دونه
ولم يعلم انها لا عربي بل يجوز ان يكون كذبا فاذا حملنا عليه كلام الله فقد قلنا على الله ما لا نعلم
وهذا معلوم بالضرورة فالفاظ من المشتبه والثاني ان اللغة المستفادة من الشعر والغريب
الذي يعلم له اسناد دون ما يستفاد من نقل اهل الحديث فاذا لم يفيد العلم بان العربي قاله
فلم يعلم ان العرب قالم يكن علمنا بمراد العربي منه لا دون علمنا بمراد الرسول والصحابة
والتابعين من الفاظهم فاذا كان هذا دون الحديث في النقل والدلالة لم يكن حمل معاني القرآن
عليه بأولي من حملها على معنى الحديث وكلاهما ليس وجوه كثيرة بل لا يجوز ان يقال
هذا معنيي لا يتجه اسناد الشعر والغريب ولا دلالة ذكرت اذ هما لا يفيدان العلم به فيكون تفسير
القرآن بهذا الطريق قولا على الله بلا علم واذا لم يكن هذا معلوما وغير ليس معلوم بطلت
كلمة الكتاب والسنة وسقط الاستدلال به وفهم معانيه والله امرنا بتدبره وعقله فاذا لم
يكن لنا طريق الي العلم بمعناه لا من جهة نقل الشعر والغريب ولا من جهة نقل الحديث ولا الاسرائيل
العلم بمعناه فلا يصح الامر بتدبره وعقله وهذا خلاف القرآن ثم لو ثبت القول من العرب الشاعر
او الناثر وعلم انه اراد معنى بذلك اللفظ كان ذلك لغة لمقتدا دها بالفظ فلم يكن اثبات
اللغة مجرد هذا الاستعمال اولي من اثباتها بالاستعمال المنقول في الحديث والآثار وكلا اولي
من استعمال القرآن الموجود في نظير ذلك اللفظ فان اللفظ في القرآن يكون له نظائر ولهذا
صنف العلماء كتب الوجوه والنظائر ويروي ذلك عن السلف فالوجوه الالفاظ المشتركة
والنظائر الالفاظ المتواطئة الاول فيما اتفق لفظه واختلف معناه والثاني فيما اتفق
لفظه ومعناه محمل معاني كلام الله على ما يوجد من اللغة في كلامه وكلام رسوله وكلام
اصحابه الذين كانوا يخاطبون بلغته والتابعين الذين اخذوا واشتهروا تلك اللغة او في من حمل
معانيه على ما يوجد من اللغة في كلام بعض الشعراء والاعراب فان كل احتمال يتطرق

الي

الي فهم كلام هو لا يتطرق الي فهم كلام او ليكن ما يجوز ان يقال كل احتمال يتطرق من النظم
والنثر فان المستمع كلما بعد عن بيئة المتكلم كثر ما يتطرق الي فهمه لما بينهما من الاختلاف
والمجانبة والتباعد فما يذكر من احتمال مجاز اذا اشتراك وغموض ذلك فتطرقه الي كلامهم اكثر
وهو كذلك بطريق الاولي والمتعذر الي الممانع والا فالامر اجل مما ذكروه ذلك من طريقين احدهما
بيان استقامة هذه الطريق والثاني بيان انه لا طريق يقوم مقامها فيتعين فاما
الاول فمن وجوه احدها ان النبي صلي الله عليه وسلم بين لاصحابه القرآن لفظه ومعناه
جميعا فان البيان لا يحصل بدون هذا وقد قال تعالي لتبين للناس ما نزل اليهم وقال هذا
بيان للناس وقال خاطبهم بلغتهم يفهمون معناه لكن ذكر بيانا وفسر معناه فعلم في غير موضع
بكون ارسله بلسان عربي وانه انزل عليهم بذلك فقال انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
فهل يعقلون اذا لم يعرفوا اللفظ وكذلك لما سئلوا عما لم يسمعوا به بلسانه يذكر ونه كيف يتذكر من
لا يفهم الكلام قال وقد جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي اي قرآن اعجمي
وبين عربي ومخاطب عربي ذلك على انه فصل اياته والتفصيل التبيين المنافي للاجمال فلو كانت
اياته مجملة لم يفهم معناها لم تكن اياته مفصلة والتفصيل انما يكون للبيان والتبيين الذي يزول
معه الاشتباه لا يحصل الا باشتراك ولا اجمال المنافي لفهم المراد بالخطاب وان كان المعنى المفهوم قد يحصل
بينه وبين معنى آخر مشاركة يمتنع ادراك حقيقته التي لا يفهم مجرد اللفظ وقد قال
الله تعالي وما علي الرسول الا البلاغ المبين واذا كان المخاطبون لم يفهموا معني كلامه لم يكن
قد بلغهم لانا قد بينا ومن قال ذلك فلم يشبهم بالبلاغ وهذا حال هؤلاء الذين يزعمون انه لا يمكن
من جهتهم معاني القرآن فانهم يقولون لم يبين ولم يبلغ وان كانوا يقولون ما يستلزم ذلك ولم يعلموا
فنبهم من يعرف انه حقيقة قولهم ويقول ان معاني هذه الالفاظ بينها الصحابة كما بينوا
كما لها والحالة هو لا يجوز فهذا من الزيادة من يقول هذا او ينتصر من يقول هذا وما الذين شاهدوه
فقد شهدوا له بالبلاغ ونحن نشهد بما شهدوا به اخوانا الذين سبقونا بالايمان فانه بلغ البلاغ المبين
وعبد الله حجاناه اليمين صلي الله عليه وعلي الماجعين وبهذا قال ابو عبد الرحمن السلمي
احد كبار التابعين حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم عثمان
ابن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلي الله عليه
وسلم عشر ايات لم يجاوزوها حتي يتعلموا ما فيها من العلم والعمل واذا علم ان الصحابة اختلفوا
في الرجوع لفظ القرآن ومعناه بل كانوا يأخذون عنه الفاظه مجردة عن الفاظ اخر
كما قال جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمر تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا

اتبع بعض هؤلاء المتكلمين من متكلمة الجماعة واهل الحديث ومتصوفتهم
يروي محالا واشياء قبيحة من الاحاديث الموضوعة والمفتريات المصنوعة
مثل ما يحكيه السؤال في سيرة عنتره والبطال من انواع الكذب و
المحال وما يذكر في مغازي علي رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغيره من انواع الاحاديث التي هي عند من يعلم صفة الحال
من الاعاجيب فهم لا في الرواية وكذلك المتاولون اذا رأيت ما يضيفون
اليه الكلام من المعاني وما يقدرونه لذلك من المباني وما يحملون عليه
احسن الكلام المتشابه المتاني تجد من انواع الهذيان التي هي فوق
مطلق الكذب والافتراء ما يليق ان يقرن بحكايات السؤال ولو ذكره
المساجلة لم يضحك منه لاخذوا به الاموال هو عند المؤمن بالله ورسوله
ما يفيد صاحبه من اهل الافتراء على الله ورسوله وقد يكون العيب
لهم والخجل منهم من نوع الجهاد في سبيله كما امر النبي صلى الله عليه
وسلم حسان بن ثابت ان يهجوا المشركين وقال هو اشد فيهم من وخز النبال
وقال اهجهم وجبريل معك وقال اللهم ايده بروح القدس وقال
ان روح القدس معك ما دمت تناضح عن رسول الله وفي ذلك حيث
يقول فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
والكثير هذه الثالثة من اهل الخلافة لمذهب السلف واهل الحديث تتضمن
من عيب كلام الله ورسوله والطعن فيه ما هو من جنس الذين يلمزون
النبي من المنافقين لما فيها من دعوى ان ظاهر كلامه اكل ومحال وكفر
وضلال ثم صرفها الى معان يعلم ان ارادتها تلك الالفاظ من اسفه
الله وابلى وسبيل اهل الضلال والغي فالمراد فعة عن رسوله من سبيل
المؤمنين والجاهدين كما قال جاهدوا المشركين بالسنتكم وايديكم
واموالكم ومن ذلك بيان سخافة عقول هؤلاء المحرفين وكونهم
من اهل الضلال المبين كالذين ذمهم الله من الذين يحرفون
الكلم عن مواضعه والذين لا يفقهون ولا يتدبرون القول
وشبههم بالانعام والحمر المستنفرة والحمار الذي يحمل الاسفار
ولهذا كان المسلمون يعيبون ويطعنون على اصحاب مسيلمة الكذاب

بما قبلوه من قرآنه المفترى من دون الله وان كان قد زعم انه
نزل على رسول الله في الرسالة وما من احد خرج عن الكتاب
والسنة الا وقد جعل مع الرسول كبيرا له يشركه في التصديق
والطاعة لا سيما الغالية من الجهمية والاتحادية والباطنية ونحوهم
عند كلام سادتهم وكبرائهم مضاهاة لكلام الله ورسوله وكثيرا ما
يقدمونه عليه ذوقا ووجدا وحالا واعتقادا ومقالا ومنهم من
يفضله على كلام الله حتى يقول كلام الله يوصل الى الجنة وكلامنا
يوصل الى الله تعالى والقرآن للعوام وكلامنا للخواص ويقول
احدهم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي
هؤلاء علمان وانت خشاش وهذا بهيئة قول مسيلمة الكذاب
اذ ادعى انه اوحي اليه وانه نظير محمد صلى الله عليه وسلم من هؤلاء
واما المقتصد منهم فلا يعتقدون ذلك لكنه لازم لهم في مواضع
كثيرة فليتدبر المؤمن هذا الموضع فانه عظيم الفائدة وذلك
ان الذين كانوا مقرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم
نوع ايمان به كان فيهم من يجعل له شريكا في الطاعة مثل ما كانوا
يطيعون عبد الله بن ابي رئيس المنافقين وكبيرهم وكان اهل
المدينة قد عزموا على عقد الملك له قبل مجيء رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليها فلما رد الله ذلك بالحق الذي بعث
به رسوله تشوف بذلك وما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
معتمرا الى احد رجع ابن ابي ومعه نحو ثلث الناس وكان
يقوم في المسجد ويخفض على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم
واخباره معروفة وكان من المسلمين من يطيعه في كثير من الامور
ويقبل منه وان لم يكن منافقا محضا كما قال تعالى وفيكم سماعون
لهم ولهذا غضب له سعد بن عبادة في نوبة الافك وكان
ايضا في المؤمنين به مثل ذي الخويصرة التميمي اس الخوارج
والمبتدعين المقاتلين للسنة والجماعة ثم انه في اخر عمره
اذ جاء مسيلمة الكذاب انه اشرك معه في الامر وان كلا هما رسول

الله صلى الله عليه وسلم وكان يقيم الصلوات ويقرأ عنده قرآنه
والقرآن الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته
في الردة معروفة فسيلمة وأمثاله نظير لكل من ادعى أن له
في الدين حكما مع الرسالة اما في اصول الدين واما في فروعه
بحيث يطاع كما يطاع الرسول سواء كان ذلك دعوى قياس ونظر او
ذوق او بصر او غير ذلك وان كان الواحد من هؤلاء يشبه مسيلمة
من وجه دون وجه ففيهم من هو أكذب منه وفيهم من هو خير
منه ومن قرن بالرسالة واتى بما هو طريقة عقلية او ذوقية يناظر
بها فهو شبيه بالذين قرنوا ما جاء به مسيلمة الذي مؤلفته مما جاء
به محمد فان كلا هما في الحقيقة كذب واذا اشتبه بالحق على خلق
كثير فقد اتبع مسيلمة الذي مؤلفته وما جاء به المسلمين احد
من اعظم الصحابة وكان قتاله من اعظم فضايل الصديق الذي
صدق الرسالة لكذاب الذي قرنها بما يخالفه ومن قرن بالرسالة
رياسة دنيوية بحيث يجعل طاعتها كما يفعل اتباع الملوك
والرؤساء الاعتيادية ففيهم شوب من المطيعين لابن ابي فانه
كان بمنزلة الملوك الرؤساء المطاعين واتباعهم ومن اعترض
على السنة والجماعة بنوع تاويل قياس او ذوق او تاويل منه
خالف به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه شوب
من الخوارج اتباع ذي الخويصرة وانما الحق ان يكون الدين كله لله
هي الهداية والمبلغ لكلمة الله الآمر بطاعة الله هم رسل الله الذين
ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ختم الله به النبوة والرسالة فليس
بعده نبي ولا رسول ومن اطيع من الامراء والملوك والمشايخ فلانهم
يأمرون بما امر الله به ورسوله طاعة متابعة واتباع لا طاعة
مشاركة وابتداع فهذا هذا والله اعلم فصل
واما الوجه الثالث فقوله قد تاول السلف كثيرا منها ومن الآيات
واذن فنافي التاويل ابن عباس وهو حبر هذه الامة وترجمان القرآن
في غير ما آية في هذا الباب قال اذا خفي عليكم شيء من القرآن

فابتغوه

كطاعتها

فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب وقال في قوله يوم يكشف عن
ساق اما سمعتم قول العرب قامت الحرب على ساق فالجواب
من وجوه احدها ان كان المراد بالسلف الصحابة فهذا النقل عنهم باطل
لم يتاول احد قط من الصحابة شيئا من آيات القرآن التي ظاهرها انها
صفة لله تعالى ولقد بحثت عن هذا الباب وكشفته وطالعت التفاسير
المنقولة عن الصحابة فلم اجد عن احد من الصحابة انه تاول
آية واحدة من الآيات التي ظاهرها صفة على نفي الصفة بل وجدت
عنهم من الآثار التي تقرر النصوص وتثبت الصفات وتصرح بمنافاة
قول المتاولين والمعطلين ما لا يتسع هذا الموضع لكتابته وانا بحمد
في تفاصيل ذلك وليست الكتب عندي وكتابة مثل هذا من الحفظ
متعذر فهذا السؤال الذي اورده قد انقلب عليه وهو من
اعظم الحجج القطعية على صحة مذهب المثبتة للصفات الخالقين
عما يضاد ذلك من التاويلات اذ جميع الصحابة قد ثبت عنهم
بانواع الاسانيد من المنقولات اثبات صفة العلو وغيرها من
الصفات بالنصوص الصريحة التي لا تحتمل خلاف ذلك ولم ينقل
عن احد منهم تاويل يخالف ذلك تخالف الظاهر فالمتاول يما يخالف
الظاهر مع انه مبتدع لهذه التاويلات فهي بدعة مخالفة لاجماع
السلف لانه بدعة مسكوت عنها ومع انهم لم يتاولوا ما ظاهره الصفة
فلم اعلم عن الصحابة تراعا في انها من الصفات الا في قوله
يوم يكشف عن ساق فان هذه متنازع فيها من الصحابة فعن
ابن عباس وطايفة ما ذكره المعترض ان المراد به الكشف عن شدة
وقد بعد عهدي بالاسناد عن ابن عباس هل هو متصل او منقطع
وعن ابي سعيد الخدري وغيره جعله من الصفات وفي الصحيحين
حديث ابي سعيد وغيره وسبب النزاع انه ليس في ظاهر
الآية ما يدل على انها من الصفات لانه قال يوم يكشف عن ساق
ولم يضف ذلك الى الله بل نكره ومعلوم ان هذا لا يدل بنفسه
على انه صفة لله بخلاف ما اضيف اليه ولهذا تنازع فيه

الصحابة فمن اثبته احتج بحديث ابي سعيد المتفق عليه في الصحيحين
وقال ايضا فرق بين ان يقال كشف الشيء او ان يقال كشفت عنه فان
الشدة يقال فيها كشفها الله ايا ازالها كما قال تعالى وقالوا يا ايها الساحر
ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز الى قوله فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه وقال تعالى في حق ايوب فاستجبنا له وكشفنا
ما به من ضر وقال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وقال تعالى
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم
صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه وتنسون ما تشركون
وقال تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
قالوا فالشدة يقال فيها كشفها ولا يقال كشفت عنه واما الكشف
عن الشيء فهو اظهاره وابرازه كما يكشف العذاب عن الناس فالعذاب
نفسه مكشوف واما الناس فهم مكشوف عنهم نظهوره لهم وبروزهم
بعده وال العذاب عنهم وان كان المراد بقوله السلف التابعين
فلا اعلم احدا من التابعين تاول شيأ من النصوص التي ظاهرها
الصفة بل القول فيهم كالقول في الصحابة الا ان دعوى الاحاطة
بكلامهم اصعب وعامة الائمة والمفسرين على اثبات الصفات كما
تقدم عن الصحابة والنقول بذلك عنهم كثيرة لا تنحصر وبينهم نزاع في
السماع كما تقدم وقد نقل عن مجاهد في قوله تعالى فاينما تولوا
فثم وجه الله ان ثم قبلة الله ومن قال ذلك منع ان يكون لفظ
الوجه هنا ظاهرا في الصفة بل الوجه كالوجهة كما قال تعالى ولكل وجهة
هو موليها ومن اثبت الصفة مع ذلك سلك طريقة اخرى والمقصود
هنا بيان ان الا نسلم ان ظاهر الخطاب اذا كان صفة لله تاولها السلف
وان كان المراد بالسلف من كان في زمن الائمة من اهل البدع مثل
الجهم والجعد ومن بعدهم كمثل ابي الهذيل العلاف وطبقته وبشر
المريسي ونحوه فهؤلاء الذين ابتدعوا هذه التاويلات والكلام فيها
معهم ومع اتباعهم الوجه الثاني ان لو ثبت

عن

عن بعض الصحابة او التابعين تاويل فهو مثل تنازعهم في تفسير
بعض الايات وبعض الاحكام فمن المعلوم ان الاية التي ذكرنا تاويلها عن
ابن عباس قد نازعه فيها غيره وقد قال تعالى فان تنازعتم في
شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الاخر ذلك خير واحسن تاويلا وليس قول بعض الصحابة حجة على
بعض الوجه الثالث ان المنقول عن الصحابة والتابعين
من اثبات الصفات وتقرير النصوص الدالة عليها لا يحصيه الا الله
فكيف يترك المنقول بالتواتر ويدعى ما لا حقيقة له او يحرف بموه والنزاع
الوجه الرابع ان نقله عن ابن عباس انه تاول غير ما آية
لا اصل له بل المحفوظ عن ابن عباس في تقرير النصوص الدالة على
الصفات واثبات الصفات اكثر من المحفوظ عن غيرهم من الصحابة وليست
تجد في هذا الباب شيأ اكثر من المنقول عن ابن مسعود وابن عباس
واصحابهما وهم اعلم الناس بالتفسير وتاويل القرآن الوجه الخامس
ان نقله عن السلف انهم تاولوا الاحاديث فهذا اغرب هل يقدر احد
قط ان ينقل عن احد من الصحابة والتابعين انه قال تاول شيأ من
احاديث الصفات بل هم الذين كانوا يروونها ويجدثون بها من
غير تعرض لمعناها ولا ذكر تاويل فيها وعنهم اخذها تابعوا التابعين
وملاها الناس في ايدي التابعين يسالون عنها علما ذلك الزمن
من صغار التابعين وملاها الطلبة مثل الزهري ومكحول وتابعيهم
مثل الاوزاعي ومالك وغيرهما امروها كما جاءت ولم ينقلوا عن احد من
التابعين تاويلها اصلا بل المنقول عنهم كما قال الاوزاعي كنا والتابعون
متوافرون نقول ان الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة
من صفاته فهذا نقله لما كان زمن التابعين وهو الايمان بالصفات
ولم يرد بذلك الايمان مجردة وفهما فان هذا لم يتغير وقد سماها صفات
ولو كانت متاولة لم تكن صفات ولهذا لا يسميها محققوا اهل التاويل
احاديث صفات بل يقولون احاديث الاصفات كما يقول ابن عقيل
وطايفة معه او يقولون مشكل الحديث او متشابهه واما قول

الاوزاعي كانوا من جماعة ممن روت هذه السنة من صفات الوجه السابع
ان نقله عن ابن عباس انه اخفى عليكم شيء من القرآن فانتقوه في الشعر لان
على موه والنزاع فان هذه الآيات والاحاديث المفهوم معناها الظاهر مدلولها
لم يخف علينا حتى نطلبه من الشعر وانما قال ذلك في الالفاظ الغريبة المتداولة
مثل قسورة وضيزى ونحو ذلك من الالفاظ الغريبة ولهذا روي ان نافع
بن الازرق كان يسأل ابن عباس عن شيء غريب القرآن فيجيبه عنه و
يستدل لمعناه بما يرويه من الشعر فاين الاستدلال بالشعر على اللفظ
الذي لا ظاهر له ولا يفهم له معنى من الاستدلال به على صرف النصوص عن
مدلولها ومعناها بنبغي لمن تكلم ان يعقل ما يقول ثم يتكلم فتمثل هذه
الاستدلالات وقع التحريف في الكتاب والسنة فلا حول ولا قوة الا بالله
الوجه الثامن ان هذه المسألة فيها نزاع وهو التمثل للقرآن
ببيت من الشعر وتفسيره بمجرد اللغة وقد روي انه نهي عن احد احد اهل جواز
ذلك لما تقدم والثانية المنع من ذلك لما تقدم من ان الصحابة والتابعين
نقلوا معاني القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى احد
معانيه من احد ومن قال هذا طالب نصه النقل عن ابن عباس او حمل
هذا على الهوة التي يتعذه فيها النقل عن الصحابة وهذا قريب
ولهذا قال اذا اخفى عليكم وانما يخفى عليهم اذا لم يكن منقولا عن
الصحابة والتابعين الوجه التاسع ان يقول لهم ان كان قول
الصحابي في التفسير حجة ففي الصحابة من التفسير المثبت للصفات المبطل
لتاويلات الجهمية ما لا يعلم الا الله وان لم يكن مقبولا فلا حجة لكم
في قولكم عن ابن عباس هذا فعلى التقديرين حجتكم باطلة والتفسير المقبول
عنهم في اثبات الصفات منصوص في مواد النزاع فصل
واما الوجه الرابع وهو قوله عامة ما ذكرتموه من الادلة العقلية القطعية فجوابه
من وجوه احدها ان المثبتة لا تسلم ان موجب النصوص عامة ما ذكرتموه دليل
قطعي قط وكل ما يقال انه قطعي بين الله ليس بدليل اصلا فضلا عن
ان يقال انه قطعي وكان الواجب عليه بيان ان هذا الدليل القطعي
بل المثبتة تقول الادلة العقلية القطعية تبطل مذاهب المعطلة

النقاة فهم يمتنعون صحة الادلة العقلية التي احتج بها النفاة ويعارضون
بادلتهم العقلية التي في اثبت واقوى بل يثبتون فساد حجة النفاة
بالعقل الصريح وصحة قولهم بالعقل الصريح الوجه الثاني
ان يقال من المعلوم ان الدليل القطعي مبني على مقدمتين احداهما
ان موجب الصفات مستلزم للتجسيم والتشبيه والتجسيم والتشبيه
منتف فيجب نفي موجبها وتعيين تاويلها واذا كان هذا الجواب عنه
بالاستفسار المتضمن لمنع احدى المقدمتين وهو ان يقال ان كان
التجسيم الذي تعنيه قد دلت عليه النصوص فلا نسلم انتفاءه
وان لم تكن دلت عليه منع المقدمة الاولى وحقيقة الجواب ان ما هو
مدلولها لم ينفه العقل الذي نفاه العقل ليس مدلولها وانما وقعت
الشبهة في الاشتراك والاجمال الواقع في لفظ التجسيم والتشبيه ما لا
ينفيه العقل بما لا ينفيه وذلك ان في لفظ التجسيم شبهة عكس فيها بين
الناس قد بسطنا القول فيه في قاعدة التعطيل والتجسيم وربما
نذكر هاهنا ان شاء الله تعالى ولكن نذكر هنا التنبيه على النكتة فان المثبت
لمدلول النصوص والصفات الله تعالى يقول للنافي قولك ظاهرها التجسيم
الزيد به ان الله جسم من جنس الاجسام المخلوقة بحيث يكون من جنس
البشر كما ودما وعصبا وعظما كما يذكره هذا عن بعض المشبهة او من
غير جنس البشر من السموات او الارض او الملائكة او الجن او غير ذلك
من المخلوقات ان اردت به ان هذا ظاهرها وهذا منتف اصبت في قولك
هذا منتف وهو المقدمة الثانية وقولك التجسيم منتف والله منزه عن
التجسيم واحطات في قولك ان هذا ظاهرها اما الاول فقد ذهب
وجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قوما من المشركين من اهل
الكتاب سألوه عن ربه ومعبوده الذي يدعوا اليه ما هو من ذهب او فضة
او كذا او كذا وسموا اما سموا من اجناس الاجسام فانزل الله تعالى
قل هو الله احد وانزل وبرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم
يجادلون في الله وهو شديد المحال واصابته صاعقة فاذا هبت
تخفي ما سماه الله تعالى ما سال عن مجانسة المخلوقات وهو

قف على هذا الفصل وتامله الى آخر عشرين السطر من كلام شيخ الاسلام رضي الله عنه من حسن التوحيد لله تعالى

من جنس سؤال فرعون وما رب العالمين فانه لا يمكن ان يذكر ان الله
تعالى وشيأ من المخلوقات مشتركان في الحقيقة الجنسية كاشتراك الانسان
وسائر الحيوانات في الحيوانية او كاشتراك الحيوان والنبات في النمو والاغتذاء لا كاشتراك
الاجسام النامية والجامدة فيما يتجانس فيه ومن سأل عن ذلك فهو كمن سأل عن
نسبه وقال ما ابوه ومن اشبه ولهذا انزل الله تعالى سورة الاخلاص التي هي
نسبة وصفته فقال قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد فنزهه وقدسه عن الاصول والفروع والنظراء والامثال وليس في
المخلوقات شيء الا ولا بد ان ينسب الى بعض هذه من الاعيان والمعاني فالحيوان
من الادمي وغيره لا بد ان يكون له اما والد واما مولود واما نظير كفوء وكذلك
الجن والملائكة ولهذا قال سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون قال بعض السلف لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج
واحد وقال تعالى والشفع والوتر وقال مجاهد كل شيء خلقه فهو شفع
السماء شفع والارض شفع والوتر الله تعالى وهذا هو الذي
ذكره البخاري في صحيحه فانهم يعتمدون على تفسير مجاهد لانه اصح
التفسير قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وهذا
القول اختاره جدي ابو البركات رحمه الله في هذه الاية ولهذا قال
سبحانه وسبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
والتقدير لا يكون الا بين شيئين متناظرين متشابهين فالمخلوقان لا بد فيهما
من التشابه والتماثل المقتضي التسوية والتعديل والله تعالى لا عديل له
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والله يستوي هو وغيره ولكن كما قال الله فلكبوا
فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولا نزله كما قال تعالى فلا تجعلوا
لله انداد وانتم تعلمون ولا شريك له كما قال تعالى قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
فاذا كان هذا في الشفاعة التي هي سبب من الله ورحمة منه للعبد فكيف
بالعبادة التي هي غاية الحب والذل لله بغاية الكمال فلا يجوز ان يجعل
لله ند في شيء من الاشياء ولهذا كان المسيح النبي صلى الله
عليه وسلم لما قال رجل يقول ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله
ندا قل ما شاء الله وحده وفي السنن ان رجلا اتى يهوديا يعيب
المسلمين يقول نعم القوم انتم لولا انكم تندون تقولون ما شاء الله
والمسيح والمساوي يقتضي في ذلك في كل شيء فلا يماثله شيء من المخلوقات في
شيء من الاشياء فليس في شيء من معاني اسمائه وصفاته ولا في شيء من
افعاله ومخلوقاته ولهذا قال تعالى وليس له كفوا احد وقيل لهم
ايضا كنتم تقبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون
فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
فاخبر سبحانه انه يكبكب في جهنم المعبودون من دون الله هم
والغاوون وجنود ابليس اجمعون وانهم يقولون لما ادعوه من
دون الله لقد كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم
انهم لم يجعلوهم مساوين له في كل شيء فان احدا من الخلق لم يقل
ان العالم صدر عن خالقين متكافئين في الصفات والافعال وانما
تسويتهم اياهم بالله انهم عبدوهم كما عبدوه كما قال تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله انداد يحبونهم كحب الله فجعلوهم
مثله في العبادة وهذه تسوية في المحبة وعن عبد الله
ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل
لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فعلم
ان الله تعالى لا يجوز ان يساويه غيره في شيء من الاشياء ولهذا
قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا والعدل
المثل وقد قدمنا ان المعادلة التي كل شيء لم يفعلها احد فعلم ان
من جعل له عدلا في شيء من الاشياء فقد عدل به ولذلك قوله
فلا تجعلوا لله انداد ومن الناس من يتخذ من دون الله انداد
والند المثل المضاهي ومن المعلوم ان احدا لم يجعل لله من يكافيه
في كل شيء ولكن في بعض الاشياء دون بعض فعلم ان الله لا يكون
له ند في شيء من الاشياء ولهذا لما سمع النبي صلى الله

وشاهدها هم النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك وقالوا ما شاء
الله ما شاء محمد لم يجعل لشيء من صفاته من علمه او قدرته او حياته
او سمعه او بصره او صفاته او عفوه او رحمته او خلقه بيديه او اتيانه
او مجيئه او استوائه او نزوله او غير ذلك عدلا ومثلا مما يوجد في
المخلوقين فقد سواه برب العالمين في ذلك وجعل له عدلا في ذلك
كما ان المشركين انما جعلوا له عدلا وندا ومساويا في بعض الامور
ولهذا قال الامام احمد رضي الله عنه وابو حنيفة المشبه الذي يقول بقولهم
ويدري وقدم كقدمي ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه ومن قال
هذا فهو مثل به بادنى مسمى به ولو جعل احدهما اكبر من الاخر
فلو جعل صفاته مثل صفات خلقه في الجنس وجعلها اعظم في القدر مثل
ان يجعل بصره من جنس بصر العبد لكنه اعظم منه كما يحكى عن قال من
المشبهة انه على صورة الانسان لحم ودم لكنه عظيم القدر كبير الجثة فهو لا
فقد سوى برب العالمين في حقيقة وعدل به كما قدمنا ان المثل والنظير
والذي ذم الله به القائلين هو التسوية والعدل به ولو في بعض
الامور وذكر ان الذين سووا غير جنسه من المخلوقات بين الله
لهم انه لا كفو له فبين انتفاء المكافاة في شيء من الاشياء لان الاشتراك
في الجنس والحقيقة تكافئ في ذلك وهو نفي الكفو مطلقا فالقليل من
جنس الكثير كفو له في ذلك وكذلك سائر الاجسام المتجانسة المتماثلة
في الحقيقة وان تفاوتت في المقدار وانتفاء هذا كما دلت عليه نصوص
الكتاب والسنة اخبار بذلك فقد بين الله تعالى ان انتفاء ذلك
معلوم بالعقل ايضا في مثل قوله هل تعلم له سميا وغير ذلك فانا
نعلم بعقلنا انه لا شبيه له ولا عدل ولا كفو ولا ند في شيء من الاشياء
وذلك ان المتماثلين في الحقيقة وان تفاوتا في المقدار كالماءين والترابين
والطعامين واللحمين عن ذلك من الاجسام لا بد ان يجوز على احدهما
ما يجوز على الاخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وهذا
حد المثلين عند اهل النظر وهو ان يجوز على احدهما ما يجوز على
الاخر ويمتنع عليه ما يمتنع على الاخر ويجب له ما يجب له وقد يعبرون

عنه

عنه بعبارة اخرى هو ما سد احدهما مسد الاخر وقام مقامه والعبارتان
تودبان الى حقيقة واحدة فان الماء يسد مسد الماء في الحقيقة وكذلك
التراب وكذلك العظم واللحم ونحو ذلك ويشتركان في الواجب والجائز والممتنع
في الحقيقة فلو كان في المخلوقات ما هو عدل لمثل للبارئ في الحقيقة
والصفات وان كان ما صغر منه في القدر جاز على البارئ ما يجوز عليه
من القدم والفقر الى الصانع والحدوث وانه بنفسه ممكن مفتقر الى
موجده وواجب له ما يجب للبارئ من القدم والقيام بنفسه
والاستغناء عن خالق والصمدية وجاز عليه ما يجوز على من خلق الخلق
وابدع العالم وامتنع على العبد من العدم والموت والحاجة ما يمتنع
عليه فيلزم ان يوصف كل منهما بالصفات التي لحقيقة الاخر وهذا
مع انه محال في حق الرب ان يكون موصوفا بالصفات التي لحقيقة العبد
ومحال في حق العبد ان يكون موصوفا بصفات حقيقة الرب فانه
متناقض اذا فرض تماثلهما وتساويهما في الصفات مع كون احدهما خالقا
والاخر فيجب ان يكون كل منهما خالقا مخلوقا فيجب ان يكون الخالق قد
خلق نفسه اذ كان مثله وخلقه لنفسه محال فكيف بخالق نفسه
ويجب ان يكون الخالق مخلوقا للمخلوق وهو ممتنع عليه ان يكون مخلوقا
لنفسه فكيف للمخلوق وهذا هو السؤال الذي يقال ان بعض ملوك
الهند اورده على بعض متكلمة المسلمين في امامة هرون فقال هل
يستطيع ربك ان يخلق مثل نفسه ان قلت نعم فقد جعلت له مثلا
وان قلت لا فقد عجز فقال له هذه المسئلة ممتنعة مستحيلة في
نفسها واذا كانت في نفسها ممتنعة لم يكن جوابها الا كذا انك كانك اذا قلت
خلق مثل نفسه فقد فرضت مثلين احدهما خالق الاخر ولو كان مثله
لم يكن مخلوقا له ولا كان الاخر خالقا له فان التماثل يمنع هذا الاختلاف
ويوجب التساوي في القدم والحدوث فبهت الذي كفر وهذا جواب
سديد فان السايل اذا فرض اجتماع ما يمنع امتنع فقال ماذا يكون
على هذا التقدير قيل له لا يكون على هذا التقدير الا ما
هو ممتنع محال واجتماع مثلين احدهما خالق الاخر محال في نفسه

عن

لعله

صانع

كما يقال لو فرض ان مانع العالم موجود معدوم اكان يصنعه ام لا ولو
فرض الله خلق العالم ولم يرد ان يخلقه او خلقه ولم يكن قادرا على
خلقه او خلقه ولم يعلم كيف يخلقه او لو فرض ان الذي خلق العالم
كان عاجزا او موانا او غير ذلك من التقديرات الممتنعة في نفسها ومثل
هذه الاغلوطات من المسايل يسلكها اهل الكلام في الجدل في امر الدنيا
والدين في الاصول والفروع من جنس الاغلوطات الذي ابتدعه
العبيدي السمرقندي في مثل نكته التي يسميها البرهان ويدعي
انها قطعيه وغير ذلك يفرض امورا ممتنعة ويستنتج نتايجها على
ذلك التقدير الذي يمتنع وجوده فان هذه المقدرات التي لم توجد
منها ما هو ممتنع في نفسه فيكون لازمه ممتنعا ومنها ما قد علمنا انه
لا يكون وان كان في نفسه غير ممتنع فيكون لازمه مما لا يكون ويسمي
هذا ممتنعا لغيره لمشية الله ولعلمه واخباره بان ذلك لا يكون
مثل قولهم لو لم يقتل المقتول هل كان يعيش فهذا التقدير معلوم
العدم ممتنع لغيره فان الله شاء ذلك وعلمه وكتبه فلم يكن يمكن
لمشية الله وعلمه ان يقع الا ذلك فاذا قدر عدم المشية لقتله
وعدم تعلق العلم كان هذا تقدير عدم الوجود فيلزم عدم الموجود
وهو قتله فاذا لم يقتل امكن ان يعيش وان عوض بسبب آخر فلو لم يقتل
لزم احد الامرين لكن قتله لابد من وجوده وقد يقدر الممتنع لذاته
كما يقال لو لم يكن خالق العالم كيف لم يكن مخلوقا مثل قول النبي صلى الله
عليه وسلم والصحابة حيث يقولون وهم يحفرون

لاهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ومرة قالوا

والله لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ونظاير
متعددة فقد يقدر عدم الموجود ليعلم كيف الامر مع عدمه
ويقدر وجود المعدوم ليعلم كيف الامر مع وجوده كقوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا ومن الاول قوله ام خلقوا من غير شيء ام هم

الخالقون

الخالقون يقول تعالى اتتصور ان يكونوا مخلوقين من غير خالق خلقهم
ام هم الخالقون اتتصور ان يكون الشيء خلق نفسه فاذا قدر عدم الخالق
لزم ان يكونوا خلقوا من غير خالق او يكونوا هم خلقوا انفسهم وكل ذلك ممتنع
فتعين ان يكون لهم خالق خلقهم ولهذا قال جبير بن مطعم لما
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا هذه الاية في الصلاة احست
بفوادي قد انصدع وكان جبير قد قدم في فداء الاسرى عام بدر وكان
ذلك اول ما دخل الاسلام في قلبه فهذه التقديرات التي تكون
في العلم والكلام هي طرق وادلة وبراهين قد تبين بها حقيقة
الامور حتى في الامور العلية دون الخبرية فان الانسان قد يكون
في حال موجودة محدودة لا يعرف ما يكون اذا عدمت من الضرر فيتركها
فيحصل له من الضرر ما لم يكن يظنه وربما يطلب وجود امر لا يقدر
اذا وجد ما يكون معه من الضرر فاذا وجد كان من الضرر ما لا يعلمه
وصاحب النظر والقياس والتدبير يقدر وجود ذلك المعدوم
وعدم هذا الموجود ليبين له بذلك الحال كيف يكون فيعلم ما ياتي
وما يذر فهذه التقديرات اذا كانت لطلب معرفة الحق
الذي ينبغي معرفته والعمل الذي ينبغي فعله كانت حسنة وان
كانت لرد الحق الذي يجب قبوله والعمل الذي نهي عنه كانت من
السيات المذمومة مثل تقدير فيلسوف قريش وزعيمها
الوليد بن المغيره لما سمع القران والاذان يجمع قومه المشركين على
قول يلقونه الى الناس يصدونهم عن اتباع الرسول فعرضوا على
الا تهم هذا يقول ساحر وهذا يقول كاهن وهذا يقول
مجنون وهو يريد ذلك ويبين ان مثل هذا القول لا يتفق على الناس
ولا يقبلونه لظهوره بطلانه ثم فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف
قدر ثم نظر ثم عبس وبسر واد بر واستكبر فقال ان هذا الا سحر
يوثر ان هذا الا قول البشر ووجه قوله انه يسحر اي انه يسحر
قلوب المتبعين له حتى يفرق بين المرء ووالده والمرء واخيه

والمرء وزوجه

وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا فجعل هذا القدر المشترك الذي يفعل الساحر مثله هو وجه

كونه سحرا واما وجه كونه قول البشر فهو يشبه من بعض الوجوه ما يقول
البشر فهو نظير قول الفلاسفة الذين قالوا انه فيض يفيض عليهم من
العقل الفعال كما يفيض سائر كلام المتكلمين على قلوبهم وسائر كلهم في بعض
قولهم من يقول القرآن مخلوق او يقول ان حروفه مخلوقة فهذا التفكير
والتقدير الذي يطلب معارضة القدر الذي انزل الله به كتبه وارسل
به رسله كما يفعل فضلاء المتفلسفة والمتكلمة من جميع الطوايف فهو
ما جاء به الكتاب والسنة هو التفكير والتقدير الذي ذمه الله تعالى وقال في
مثله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقال وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال والذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه الى امثال ذلك واما التفكير والتقدير
والقياس والتنظير الذي يحبه الله ورسوله فهو الامثال المضروبة
التي ضرب بها الله في كتابه فقال ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل فان ضرب المثل هو تقديره وجمعه فان لفظ الضرب يشعر بذلك
ومنه ضرب الدرهم والضرب في الارض والضربية الطبيعة وكذلك
الضرب بالعصا كل ذلك ما اصل واحد يجيء اللفظ والمقصود هنا
انه قد علم من المعدوم الممتنع في نفس الامر ان يكون لله مثل لكن اذا قدر
ذلك في النفس تبين بتقديره ما يلزمه من الامور الممتنعة التي يعلم بها
انه ممتنع وقد تبين انه اذا قدر مثلان احدهما خالق والاخر مخلوق كان
هذا ممتنعا متناقضا من وجوه كثيرة الاحصر فان المثل الذي يجوز عليه
ويجب له ويمتنع عليه ما يجب ويجوز ويمتنع على الاخر فتقدير يجوز
ان يكون هذا خالقا للخالق نفسه ويكون هذا مخلوق المخلوق نفسه
فيكون مخلوقا لنفسه والشيء لا يكون خالقا لنفسه ولا يكون مخلوقا لنفسه
ويكون هذا مستغنيا بنفسه واجبا بنفسه فلا يكون مخلوقا ويكون
ايضا مفتقرا الى صانعه ممكنا بنفسه فيكون مخلوقا فيكون كل منهما خالقا
مخلوقا وهذا محال كما تقدم ويكون هذا قديما فلا يحتاج الى
محدث ويكون هذا محدثا فيحتاج في وجوده الى قديم فيكون كل منهما قديما
بنفسه لا محتاجا ومحدثا محتاجا وهذا محال ويكون هذا واجبا

القرآن

بنفسه له العلم بكل شيء والقدرة على كل شيء وهذا جاهل عاجز عن الجهل
بكل شيء والعجز عن كل شيء فيكون كل منهما واجبا له بنفسه وجايز اعليه
العلم بكل شيء والقدرة على كل شيء وهذا ممتنع ويكون هذا
واجبا له ان يكون سميعا لكل مسموع وبصيرا بكل مرئي وهذا جاهل
عاجز لا يسمع ولا يبصر شيئا فيجتمع هذان الوصفان وهو محال ويكون
هذا يمتنع عليه الآفات المذكورة فيكون كل منهما يجوز عليه الآفات
ويمتنع وهو ممتنع فيكون هذا معدوما بنفسه لا يوجد الا بخالقه
واجب الوجود بنفسه لا يقبل ذاته العدم وهذا محال فقد تبين
انه يلزم اجتماع النقيضين من وجوه كثيرة على تقدير اثبات المثل وهذا
باب واسع تبين فيه بهذه التقديرات المحالات اللازمة من فرض
مماثل الخالق والمخلوق ليعلم ان هذا ممتنع في نفسه متناقض لا
يتصور وان كان يلزم من التمثيل ايضا ما هو ممتنع من وصف الخالق سبحانه
وتعالى بصفات المخلوق الناقصة ووصف المخلوق بصفات الخالق التي
هي من خصايصه فان ذلك يبين استحالة تماثل الخالق والمخلوق من
غير تعيين وهذا بيان الاستحالة في الخالق الحق المعين الموجود
وفي المخلوق الموجود المعلوم وكل هذه طرق صحيحة ولهذا قال
سبحانه هل تعلم له سميا وهذا من الامثال المضروبة كما سمى الله بذلك
قول القايلين من يحيي العظام وهي رميم فقال سبحانه وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام فان هذه الجملة الاستفهامية هي
استفهام انكار انكارا نفي وسلب ونفي ومنع فهي متضمنة لشيئين احدهما
نفي ان يعلم له سمي وهو انكار ان يعلم له سميا والثاني الانكار على من
يقول ان ذلك يقع اذا اراد سبحانه النفي الحق لقال ما تعلم له سميا
فهذا يكون فيه نفي علمه لا انكار وجوده فلما قال هل تعلم كان انكارا لوجود
ذلك ونفيا لان يكون ولهذا قال هل تعلم ولم يقل هل علمت ليبين
الانكار والنفي لوجود العلم مطلقا فان الفعل المضارع مطلق يتناول ما
هو كاين لم ينقطع هذا الفعل سيوجد كما تناول الماضي لما مضى وتناول الامر
لما لم يكن بعد ونظيره ان تقول هل بلغك نبأ بعد محمد هل تقوم الساعة

الان هل يتخذ الله ولدا هل يعلم احدا ويقول عاقل ان الواحد مثل الاثنين
ونحو ذلك مما تبين فيه امتناع ذلك وانكاره وجحوده وتبين ان وجوده
ممتنع وانه مما يعجب انكاره ويبكر على من ادعاه ثم دل ذلك على ان متعلقه
ايضا فان الحق لا ينكر العلم به وانما ينكر العلم العلم بما لا حقيقة له فقوله
قل لتنبيئونه بما لا يعلم في الارض فدل على هذا المثل على انه لا سمي
له وعلى انه لا يعلم احد له سميا وعلى انه لا يمكن ان يكون له سمي وعلى انه
لا يمكن ان يعلم له سمي دل على نفيه ونفي امكانه ونفي العلم به وبامكانه في
هذا اللفظ الوجيز المختصر فالعقل الشريف عقل هذه الامثال كما قال
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فالعالمون يعقلون
هذا المثل كما قال تعالى وعقلهم له معرفتهم بما فيه من الحق وبدلالته
على الحق المطلوب حتى يبقون عالمين بعقلهم للحق المطلوب لا على وجه
التقليد لمجرد صدق المخبر كما قال تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل
اليك من ربك هو الحق فاذا اوتوا العلم عقلوا ان الذي انزل اليه من ربه
من الاحكام الخبرية والامرية والادلة الدالة عليها كالامثال المضروبة في القرآن
انه هو الحق فان العاقل انما يعقل ما لم يكن عنده من العلم بما هو عنده و
بالعلم بالمعلومات تعلم نتائجها ولهذا قال تعالى ان الامثال المضروبة
لا يعقلها الا العالمون واخبر ان الذين اوتوا العلم يرون الذي انزل اليك من
ربك هو الحق ويهدي الى طريق العزيز الحميد واذا تبين بالقرآن
وبالعقل الامثال المضروبة فيه امتناع السمي لله وانه يمتنع ان يكون سميا
في شيء من الاشياء حصل المقصود والسمي هل المثل والشبه كما نقل عن ابن
عباس وهو اما ان يكون ماخوذا من السمات وهي المرافعة والعلامات كما
قالت عائشة عن زينب وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فيكون فعيل بمعنى الفاعل كالكيل والعقيد والنظير
واما ان يكون بمعنى المسمي باسمه كما قال في قصة يحيى لم نجعل له من قبل
سميا هل تعلم له سميا فهو سمي له تعالى اذا الاسم هو مشتق في الاشتقاق
التام من سما يسمو او ان كان في الاشتقاق الاوسط من وسم يسم كما قال
ذلك من قاله من نحاة الكوفة كما بينا انواع الاشتقاق في غير هذا الموضع

فسوا

فسوا ان كان السمي من التسمية او السماة فان مرجعهما الى شيء واحد فان
المسمي باسم الشيء هو سماه له وان لم يقصد ذلك والمسمى للشيء لا بد ان يسمي
باسمائه اذا لم يرد بالاسم في هذه المواضع ليس هو مجرد اللفظ الذي
يكون علما كاسما الاعلام وانما المراد بالاسماء ما يدل على نعوت المسمى وصفاته
فان الاسم يرفع المسمى ويعليه واذا ارتفع وعلا ظهر وتجلى وذلك هو
وصفه واظهاره ما فيه وهذا هو الذي عابه الله تعالى على من سمى
الاوثان باسماء انزل الله بها من سلطان ولهذا كانت اسماء الله الحسنى
صفات له تولية وهي دالة على صفاته المعنوية فيكون الله تعالى قد نفى
الامكان ان يكون الله من يسمى باسمه او يسامي به وهذا ابينا في ما ذكرناه
اولا مما في كتاب الله تعالى ان الله تعالى سمى نفسه باسماء وسمى بعض
مخلوقاته بتلك الاسماء الا قد بينا فيما تقدم مما في الاسماء من الدلالة على
المشترك والمميز وعلى اللفظ في هذا المكان مقصوده وهو ان اسماء الله
مثل العليم والقدير والرحمن والرحيم دالة على نفسه المقدسة بما لها
من نعوت علمه وقدرته ورحمته وهذا الاسم الذي دل على هذا المعنى
لا يجوز ان يسمى به سواه اصلا واذا اطلقناه على المخلوق وقلنا ان الانسان
سميع بصير فهذا الاسم الذي دل على حقيقة سمع المخلوق وبصره لا يسمى
الله به قط واما الاسم المطلق الذي لا يضاف فهو دال على القدر
المشترك فالاسم وان كان لفظا قبل الاضافة والتعريف واحدا فهو
بالاضافة والتعريف يصير دالا على اكثر مما كان دالا عليه حين التجرد ولهذا
قال الفقهاء في باب الايمان ان اسماء الله ثلثة اصناف منها ما هو نص كقوله
تعالى الله ورب العالمين والرحمن الرحيم ونحو ذلك فهذه يكون يمينا لا تحتمل
غير ذلك ومنها ما هو ظاهر وهو ما يكون بالاطلاق لله وقد تسمى به غيره
بالقرينة كقوله العزيز والحكيم والروف والرحيم ونحو ذلك ومنها ما هو
مجمل لا ينصرف اطلاقه الى الخالق او المخلوق الا بالقرينة كقوله الموجود ونحوه
فهذا لا يكون يمينا الا اذا نوى به الله وهل يكون يمينا بانية على قولين
بنا على ان اليمين بالله تعالى هل تنعقد بالكناية احدهما
يكون يمينا وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة واحمد وغيرهما والثاني

لا يكون بميتا وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول القاضي ابي يعلى في بعض
كتبه وهذا ثابت في جميع الاسماء التي تتغير لا لها بالتقييد والاضافة
في اسماء المخلوقين فكيف بالاسم الدال على الخالق والمخلوق فلفظ الرسول
واحد ومع هذا فلما قال فرعون الوسول وقال لنا لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم لم يكن صفة الرسالة وقد سماها المدلول عليها باسم الرسول
في احد الموضعين في الصفة والقدر المدلول عليها به في الموضع الاخر ويقال
هذا رسول هذه الامة ويقال في ذاك رسول بني اسرائيل فلا يسمى
احدهما باسم الاخر مطلقا وان اشتركا في بعض مدلول الاسمين ولهذا
كان من اسمائه الرسول كمحمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب والمقفي
ونبي الرحمة ونبي الملحمة والضحوك والقتال ونحو ذلك من الاسماء التي يختص
هو بمعانيها وتختص بكل معانيها فليس في الرسل من يسمى
باسمائه مطلقا وان كان يشركه في بعض اطلاقه بعض اسمائه عليه لمشاركته
له في بعض معانيها وهذا الواقع منها من الاسماء المتواطئة
لا تدل مجردها على القدر المطلق المشترك الذي لا يوجد مطلقا مشتركا الا
في الذهن ويدل عند تقييدها بالتعريف على خصوص المعين الموجود
في الخارج الذي لا شركة فيه فمدلولها عند التعيين ليس فيه اشتراك
اصلا كما انه ليس فيها اشتراك ولا اطلاق ولكن الذهن يأخذ القدر المشترك
بين المعينين كما ينطق اللسان باللفظ المشترك المتواطئ الموجود في المحلين
وان كان حال المطلق المشترك المتواطئ كالمعنى المطلق المشترك وليس هذا
بشرط الاطلاق الا في الذهن كما ان اللفظ المطلق بشرط الاطلاق لا يكون
في كلام الناس واستعمالهم واللفظ المقيد بتعريف الاضافة وغيرها
يطابق المعنى الذهني المقيد بهم تلك الحقيقة المعينة والحقيقة الخارجة
المعينة مطابقة لذلك المعنى المفهوم من هذا اللفظ المعين واللفظان
في حال تعيينهما المعنيان والذهنان والحقيقتان الخارجتان كل منهما
متعين بنفسه ليس فيه شركة مع غيره ولكن معنى قولنا انه يشاركه
ان الذهن يدرك ان هذا يشبه هذا من تلك الجهة وكل منهما لا يكون
في نفسه مطلقا بشرط الاطلاق ولا مشتركا بشرط الاشتراك ولكن المعنى

المطلق

المطلق يوجد فيه لا بشرط الاطلاق والمشترك يوجد فيه لا بشرط الاشتراك
بل مع تقييد وتخصيص ومن هنا قيل كما ان بين اللفظين اشتراكا
وانتسابا فكذلك بين المعنيين اشتراكا وانتسابا لكن هذا القدر المشترك
المشبه ليس داخلا في حقيقة احدهما الخارجة الموجودة اصلا مشتركا
اذ الذي فيها لا يكون مطلقا بشرط الاطلاق وانما هو مطلق لا بشرط
الاطلاق بل هو مقيد بالتعيين ولا مشتركا بشرط الاشتراك وانما يقال هو
مشترك للمشابهة بل هو مختص متميز ثم اذا عرف هذا فجميع الاسماء
المتواطئة وانها اذا دلت على معينين لم يكن في الدالين الخارجين اشتراك
بل كل منهما متميز بنفسه فلا يكون اسم هذا اسما لهذا ولا اسم هذا اسما
لهذا قط من جهة التعيين فان اسم المعين لا يكون اسما لغيره لكن ان كان
المسميان مماثلين في بعض الامور صح ان يسمى احدهما باسم الاخر
ويقال هو سميه فان التماثل في الحقيقة يوجب التماثل في اسمائها فيقال هذا
الانسان سمي هذا وهذا السواد سمي هذا وهذا العالم سمي هذا
وهذا العالم سمي هذا لتماثلهما في العلم وان تفاوتا في غيره واما ان كان المسميان
غير متماثلين في شيء من الاشياء لم يكن احدهما سميا للآخر بحال فاذا قيل جبريل
الروح وقيل الدابة فيهما روح ولم تكن روح الدابة سميا لجبريل الذي
اسمه الروح واذا عن جبريل مطاع ثم امين وقيل عن بعض اهل
الكتاب ان ناموسه يقطاريوده اليكم لم يكن هذا الامين سميا لذلك الامين
وذلك لان اللفظ دال على ان بينهما تشابها من بعض الوجوه وهو اصل
الامانة واما حقيقتها وصفتها وقدرها فلم يشتبها فيه فلم يكن اسم
احدهما دالا على مثل مدلول اسم الاخر فلم يكن سميا له فانه تعالى هو
السميع البصير فاذا سمي بعض مخلوقاته بالسميع البصير لم يكن مدلول اسمه
تعالى مثل مدلول اسم ذلك المخلوق بوجه من الوجوه فاذا لم يكن مسمى
السميع البصير الذي هو الذات والصفة مثلا لذلك لا الذات مثل الذات
ولا الصفة مثل الصفة امتنع ان يكون اسم هذا يقال على هذا او ان يكون
سميا له وان كان من مدلول الاسمين تشابه من بعض الوجوه والتشابه
ليس هو التماثل بوجه من الوجوه فان الشيء قد يشبه ما يكون مخالفا له اذا

فكان يعلمهم الايمان وهو المعاني التي نزل بها القران من الامور التي امر الله بها ونهى عنها والمخبر عنه المتلقي بالطاعة والتصديق وهو الحق فان حفاظ القران كانوا اقل من عموم المؤمنين فعلم ان بيان معانيه لهم كان اعم من بيان الفاظه ومن هذا البابصار يروون عنه كاحاديث التي ليست الفاظها الفاظ القران لانه كان يبين لهم معاني كثيرة بغير الفاظ القران وذلك هو حديثه فاذا كان الصحابة قد نقلوا عن نبيهم لفظ القران ومعناه ثم جاء التابعون بعد ذلك الى لغة احد فالمنقول عن الصحابة من معاني القران كان في ذلك كالمنقول عنهم من حروفه سواء وان تنازع بعضهم في بعض معانيه فذلك كما قد يتنازعون في بعض حروفه وكما قد يتنازعون في بعض السنة لخفايا هي عن بعضهم اذ لم يكن كل منهم تلقى من نفس الرسول جميع القران وجميع السنة بل كان بعضهم يبلغ بعضا للقران لفظه ومعناه والسنة كما قال البراء عازب ليس كل ما نحدثكم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يكذب بعضنا بعضا ولهذا ما يذكره ابن عباس من الحديث في القران والسنة تارة يذكر عن سمعه من الصحابة وتارة يرسله لكثرة من سمعه منه وبعض ذلك قد سمعه منه فاما ما كان قبل الهجرة من امر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وما نزل فيه من القران من ذلك فلم يشهد فان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وابن عباس ما هو فكان عند الهجرة صغيرا جدا الوجه الثالث قالت له قالوا انزل علي نبيه الحكمة كما انزل عليه القران وامثل بذلك علي المؤمنين وامر اواجبه بذكر ذلك وقد بلغ ذلك الصحابة كما يلفهم القران فلا يحتاجون في ذلك الى الحديث والحكمة هي السنة كما قال ذلك غير واحد من السلف وذلك انه قال واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فجعل ما يتلى غير القران في بيوتهن هو السنة اذ المراد بالسنة هنا هو ما يخص به الرسول سوى القران كما قال في غير حديث الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه وفي لفظ الا انه مثل القران واكثر ولهذا ذم المختلف عن طلب السنة المكتفي بالقران فقال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القران فما وجدنا من حلال احللناه وما وجدنا من حرام حرمناه الا واني اوتيت الكتاب ومثله معه وهذا المعنى قد استفاض عنه من وجوه متعددة من حديث المقدام بن معدي كرب وابي رافع وابي ثعلبة الخشني وابو هريرة وابي رافع وغيرهم وهو من مشاهير احاديث السنن والمسانيد المتلقاة بالقبول عند اهل العلم الوجه الثالث ان بعض الناس لو قرأ مصنفات الناس الطب والنحو مع الفقه والاصول او الوقر ابعض قصايد الشعر لكان من احرص الناس على فهم معنى ذلك ولكان من اسهل الامور عليه قراءة كلام لا يفهمه فاذا

كان

كان السابقون يعلمون ان هذا كلام الله كتابه الذي انزل البهم وهدايهم به وامرهم باتباعه افلا يكونون من احرص الناس على فهمه ومعرفة معناه من جملة العادة العامة وعادتهم الخاصة من جودة ذهنهم وما امرهم الله به من ذلك ولم يكن الصحابة كتاب يدرسونه وكلام محفوظ يتفهمون فيه بل يتلونه الا القران لم يكن الامر عندهم مثل ما هو في المتاخرين ان قومايقرؤن القران كما يقرؤنه واخرين يتفهمون في كلام اخرين واخرين يستغلون بعلوم اخر بل كان القران عندهم اهل العلم الحفظ وذلك اسم معروف لهم وهذا مما يوجب العلم بحرصهم على فهم معناه واذا كانوا احراصا على الرسول بل ظاهرهم فمن الممتنع ان يكونوا احرص على غيره في بيان معانيه وتفصيل مجمله وبيان متشابهه فعلم انهم اخذوا عن الرسول بيان معاني ايات القران التي يقال انها مشكلة او مجملة الوجه الرابع ان اصحابه المعروفين هم الذين نزل القران بلغتهم فان لغات العرب وان اشتركت في جنس العربية فبينها تفاوت في مواضع كثيرة والنبي صلى الله عليه وسلم لما خاطب اهل اليمن كتب اليهم بلغة حمير بلغة هي بعربية بالنسبة الى لغة قريش والقران نزل بلغة قريش وهو من اهل الحاضرة والبادية والمسلمون خواص اصحابه فلا يحتاجون في معرفة لغتهم وعاداتهم في خطابها الى سفر شاعر غيرهم فضلا عمن يكون حدث بعدهم الوجه الخامس ان الصحابة سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الكثيرة والوان اسنة من الاحوال وعلموا بقولهم من الامور ما يوجب علمهم من فهم ما اراد بكلامه ما يتعذر على من بعدهم فليس من سمع ورأى وعلم حال المتكلم كمن كان غائبا ولم يرو لم يسمع منه ولكن علم بعض احواله وسمع بواسطة واذا كان الصحابة سمعوا لفظه وعرفوا معناه كان الرجوع اليهم في ذلك واجبا متعينا والحجة مع ذلك الى غيرهم ولهذا قال الامام احمد اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه واصحابه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الفرقة الناجية هو ما كان على مثل ما انا عليه واصحابي اوقال ما انا عليه اليوم واصحابي فثبت بهذه الوجوه القاطعة ان الرجوع في تفسير القران اليهم الذي هو نايلة الصحيح المبين لمراد الله تعالى بالي الصحابة هو الطريق الصحيح المستقيم والى ما سوله لها ان يخطئ بعضهم واما ان يكون دونه في الاصابة ولهذا ناقض الامام احمد على الذي يرجع الى اقوال بعض الصحابة في تفسير القران اذا لم يخالفه منهم احد بل من اصحابه من يقول هذا قول واحد وان كان في الرجوع في الفتيا الى الاحكام اليه روايتان ومنهم من يقول الخلاف في الموضعين واحد لان الصحابة اذا كانوا لم يحضروا الا ليتعلموا لهم بالحسان الذين اخذوا عنهم لم يقولوا منهم الا بعد ان يكونوا قد سمعوا ذلك مما يفهم اياه الصحابة كما يجوز ذلك في

من شيئين الا وقد يشبهان ولو في ادنى شيء ولو ان في احدهما غير
الاخر وحده ونقيضه ومثل هذه المشابهة لا توجب تماثلا بوجه
من الوجوه بل مع الاشتباه من كل وجه يقتضي عدم احدهما وقد
قدمنا كلام العلماء في ذلك وامتناع تحققهم ان يبقوا المشابهة من كل وجه
وان تقوا المماثلة من كل وجه فهو سبحانه ليس له شبه ولا مثل بوجه
من الوجوه اذ المماثل بوجه من الوجوه مثلي عن الله تعالى بالنصوص
المتقدمة وبالامثال العقلية المحضة التي ارشد اليها النص اذ لو
حصل له مثل في بعض الامور لزم الجواز الوجوب والامتناع من كل الوجه
فيلزم التناقض والمحالات المتقدمة واما الاشتباه في بعض
الامور فلا يستلزم الاشتراك في الوجوب والجواز والامتناع بل لا بد منه
بين كل موجودين فمن فهم هذه المعاني الشريفة فهم ما بين الاسما
من التواطي والافتراق وما بين مدلولها من التباين والاشتباه وعلم
ان الله ليس له مثل ولا سمي لا في نفسه ولا في شيء من صفاته ولا من
افعاله ولا سمي احد بشيء من اسمائه اصلا وعلم ان المخلوق اذا سمي
بالاسم الذي تتصور اسم الله اذا اضيفت اليه فلم يسم باسم الله ولا
بمثل اسم الله ولا صار شيء من الاشياء سميا لله ولكن الاسم الذي
يكون اسم الله اذا سمي الحق به يصير اسما لهذا اذا سمي به وكونه يصير
اسم الله اذا سمي به لا يوجب كونه سميا له وانما الاجل ما في اللفظين من
التواطي والاتفاق على معنى مشترك وهو ما بين الحقيقة من تشابه في
معنى الاسم وانه بثبوت ذلك المعنى الذي ياخذه الذهن مشتركا
يكون الموجود موجودا والا كان معدوما كما قد بيناه لما تكلمنا على الوجود
الواجب والممكن وبهذا بين لك ايانا المشبهة اخذوا هذا المعنى
وزادوا فيه على الحق فضلوا والمعطلة اخذوا في المماثلة بوجه
من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا وان كتاب الله دل على الحق
المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة وهو الحق المعتدل
الذي لا انحراف فيه والثقاة احسوا في تنزيه الخالق سبحانه عن
التشبيه او التمثيل بشيء من خلقه بوجه من الوجوه فاذا المماثلة بوجه

من

النبي صلى الله عليه وسلم اسما من كان متعبدا لغير الله من المسلمين مثل من كان سمي عبد شمس وعبد اللات فسماهم عبد الله وعبد الرحمن لم يكن احد الاسمين مثل الآخر واذا كان كذلك فتخصيص احدهما اسم عبد الله والآخر عبد شمس لم يكن احدهما اسمي للآخر ولا مسمى باسمه وان كان لفظ الاسمين مشتقا في النص وهو لفظ المضاف الا ان الاضافة الاختصاصية قطعت ذلك الاشتراك الذي كان موجودا قبلها فاذا قلت سميع وسميع فهو كقولك عبد وعبد واذا قلت الله السميع البصير والانسان السميع البصير كان هذا التباين اعظم مما لو قلت عبد الله وعبد شمس اذ التعريف باللام كالتعريف بالاضافة فتدبر هذا فان هذه المعاني الشريفة نافعة في هذه المسايل التي كثر الاضطراب فيها والمشتوة احسن في نفي المماثلة من كل وجه واثبات المباينة والمخالفة للمخلوق بالقدم ولكن اذا زاد بقي المعاني الثابتة لله في نفس الامر وفي حقيقة اسمايه لما في ذلك من نوع الشراكة في الاسم واشتباه في المعنى كان مبطلا معطلا كان الذي كذب بدين من الحق ونفاه فقد يكون اعظم كذبا منه من الباطل ونفاه والمثبتة احسنوا اثبات حقيقة الله بما له من الصفات الذي لا يكون هو هو الا بها وفي اثبات اسمايه الحسنى المبينة لحقايق صفاته فانه لو لم تثبت هذه الصفات التي هي اللهم والقدوس والسلام ونحوها لم يكن ربنا ولا الها فاذا ثبتوا اصل الصفات لم يكن موجودا اصلا واثبات ما لا صفة له اثبات ما لا وجود له وهو اثبات معدوم وليست كالصفة منتفية صفة محمولة له بالمعدوم اما قضايا حيث قرن وجوده وصحته فيكون الكمال المطلق والوجود الاتم موصوفا بما يستلزم ان يكون شيا صلا عن ان يكون في الخارج او مثله بالمعدوم فكان اصل من مثله بالموجود اشر من لا يكون موجودا اصلا وهذا مما يعلم بالفطرة ويعلم بالعقل ايضا حقيقة بما هو اكمل منه فاذا قدر انه ليس موجودا كان مثلا لما لا يكون موجودا وهذا اصل عظيم في باب الاسماء والصفات وقد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الموضع

والتمييز والمعرفة والاحاطة بالاشياء وقدره ثم خصايص القدرة التي بها يفعل الافعال والام يثبت موجودا ولا عالما ولا قادرا وعلى اثبات هذه الخصايص تعلم الصفات الاخر منها فان نصبا فان لها وجودا وعلما وقدرة فاثبتوا محققا وتميزوا وصية بها تفعل فان نفيت هذا المطلق المشترك فقد عطلت الذات بالكلية وحققتها معدومة لا تدرك بوجودها وهذا تناقض وهذا الطعن قد أوهناه فيما تقدم فاذا اراد المثبت وجعل بينه وبين غيره مماثلة من بعض الوجوه مثل ان يجعل علمه او قدرته او رحمته او غضبه مثل شيء من صفات خلقه او يجعل ذاته مثل ذات شيء من خلقه من ذهب او فضة او بلور او لحم كما يحكى عن بعض المشبهة انه قال هو سبيكة من فضة وعن بعضهم انه قال هو لحم ودم ونحو ذلك وهذا غلو في اثبات الحقيقة اذ تدرك القائل الموجب لنقصه وعجزه فقد تبين ان المغالي محقق حتى يمثل بعض المخلوقات يوجب الحكم بالقدم وان الغلو في التنزيه حتى يرفع ما يقلم من القدر المشترك المشبه يوجب القدم فكلاهما قريب في الغلو في النفي والاثبات يستلزم قول عدمه لكن الغالي يلزمهم الحكم بالقدم ابتداء من اول امرهم اذ لم يثبتوا شيا يحققوا صلا واما طوطوا انهم انتفوا والمثبتة يلزمهم الحكم بالعدم انتهاء في آخر امرهم لانهم اثبتوا شيا محققا واعتقدوا اعتقادا صحيحا ثم زاد واني تمثيله ما يوجب ان يكون في طبقة المعدوم فلهذا كان الاولون اصل ولكن ليس في المسلمين ولا من مثبتي الصانع من يبتدع بالنفي بل لا بد ان يثبت اولا الصانع ويقر به ثم يبالغ اما بالنفي واما في الاثبات فلهذا لم يصرح احد من مثبتة الصانع بعدم وان كان قوله مستلزما له لكن وهو للنفاة اللوم وابلغ لزوما والسبق لزوما واوضح لزوما فلهذا هذا والله اعلم فان قلت ان الفقها الاصليين وغيرهم ناظروا في مسايل هي يقتضي نفيها من كمال وجه او يقتضي نفي كمال المساواة بها قولين وميل اصحاب ابي حنيفة وكثير من اهل الاصول الى عدم العموم وميل كثير من اصحاب الشافعي واحمد الى ان هذا يوجب وقوع جميع المساواة فلا يكون الكافر كفوا للمسلم وحسا وياله في باب الدما فلا يكون دمه كدمه ولا يكون كفوا له واذا انتفت المساواة والمكافاة لم يقتل المسلم بالكافر الذمي وبقول طوايف ان هذا يوجب انتفا المساواة المطلقة والاشتراك في بعض الاحكام لم يمنع انتفا المساواة بدليل انهما يستويان في كثير من الاحكام وانتم قد ذكرتم ان مكافاة الدم عند نفاة الكفو والسبي والمثل يقتضي في ذلك من جميع الوجوه وهذا الاصل اللفظي متنازع فيه وكذا من تقرير ذلك بالدليل فلمت هذه الملة تشبه دخول حروف النفي والنهي على الفاظ العموم مثل ان يقول لا كلمت القوم ولا اكلمت هذا الرغيف ففعل بعض المحلوف عليه او مثل قوله تعالى

لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة هل توجب اللفظ عموم النفي او نفي العموم وفي هذا الاصل قولان في مذهب احمد وغيره ومسلم ان يمين مشهورة عند الفقهاء المشهورة في مذهب احمد وهو مذهب مالك انه يحنث بفعل بعض المحلوف عليه والرواية الاخرى عنه وهي ظاهر مذهب ابي حنيفة والشافعي انه لا يحنث بفعل بعض المحلوف عليه عند هم كلهم مع الاطلاق واما مع قرينة العموم او الخصوص فلا يبقى نزاع مثل اذا قال لا اكلت الخبز او اللحم او قال لا اكلمه او لا كلمت الرجال فهنا يحنث بفعل البعض اذا عرفت هذا فاعلم ان مراد هذا بعموم النفي هو قال والله لا بايعت هذا الطعام وحده ولا نفقت هذا الثوب وحده مما تبين القرينة انه امتنع من فعل الجميع لم يحنث بفعل البعض واما في الاصول فيذكرون القولين مطلقا في مذهب احمد وغيره ولا يثبت لاحمد في ذلك قول مطرد فان ما في القرآن من ذلك فمراده بعموم النفي كقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وغير ذلك وانما قلنا انها مثلها لان اثبات المساواة المطلقة نقيض المساواة في كل شيء عند الاطلاق فان عموم الكل لا جزاءه كعموم الجمع لافراده اذا لا فرق بين ان يكون المشمول الذي تناوله اللفظ افرادا متباينة او اجزاء متصلة او صفات فاذا قيل كل قوم فعلوا كذا وجوهكم وايديكم لجميع اجزاء اليد والوجه اذا عرف ذلك فنقول المساواة المثبتة تكون مطلقة وتكون مقيدة فاذا كانت مقيدة بقيد الاثبات لم يكن النفي الا كذلك فقط ان كانت مقيدة بمساواة في شيء معين فنفيه النفي يعود وان كانت مطلقة في المساواة في اي شيء كان النفي لذلك وان كانت عامة المساواة في كل شيء فالعام النفي نفيا مطلقا هو مورد النزاع واستدل القولين عند اصحابنا وعليهم النزاع كلهم ان العموم النفي تنتفي المساواة من كل وجه كما ان النفي الداخل على جميع العموم يعم ما يفيد الاثبات وذلك ان النفي يا قف الاثبات فرفع ما اوجبه الاثبات ولهذا كانت النكرة في سياق النفي لان اسم اللفظ النكرة مثل وجه وفرس هو الحقيقة المطلقة فاذا نفيت فقيل لا رجل في الدار ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذوق ولا صوف ولا جدال في الحج ولا بيع يجري ولا اله الا الله اقتضى نفي الحقيقة والحقيقة المطلقة لا تنتفي الا بانتفاء جميع افرادها ولا فاعي فرد ثبت كانت الحقيقة المطلقة ثابتة مشتركة فلهذا كانت النكرة في سياق النفي نعم اما عموما قطعيا اذا تيقن ان اللفظ نفي الجنس مثل ان يقترن به النافية الجنس مظهرة او مقدرة كقولهم ما من اله الا الله واحد وقوله لا اله الا الله واما عموما ظاهرا اذا كان اللفظ ظاهرا في نفي الجنس ويجوز ان يراد به نفي الواحد مثل قولك ما كلمت رجلا وما اكلت هذا رغيفا اذ يجوز ان يقال بل هذا رجلين وبل هذا رغيفين

وان كان اللفظ نفي الواحد من الجنس كقولك ما كلمت هذا رجلا بل هذا رجلين ولا اكلت هذا رغيفا بل هذا رغيفين انتفا العموم لان المنفي واحد من الجنس واذا كان كذلك ض المعلوم ان اثبات اللفظ العام لافراده لا يشترط فيه التعاهم فلا يكون اثبات بعض الافراده مشروطا باثباته لبعضها بل قالوا واذا ان التثنية والجمع في المؤتلفات كحروف النسق في المختلفات فاذا قال جاء الرجال فقال الناقي ما جاء الرجال فقد نفى ما اثبته وهو انما اثبت الحكم لجرد والعموم جاء من الصيغة فالنفي ينفي الحكم لجرد الا ينفي جرد العموم بخلاف ما لو قال القائل جاء كل القوم او ما جاء كل واحد منهم ولو قال اطعمتهم كلهم او غسلت وجهي كله فقال ما اطعمتهم كلهم وما غسلت وجهك كله فهنا كان المقصود الاول اثبات نفس العموم لا الحكم الذي عرض له العموم كان مقصود الناقي العموم لا نفي الحكم الذي عرض له العموم فالنفي مطابق الاثبات وكذلك الحقايق المركبة الذي ينتفي مجموعها بانتفاء جزء من اجزائها اذا انتفى بعضها لم يلزم نفي جميع اجزائها بل يكفي انتفاء جزء من اجزائها او نفي بعض اجزائها ولهذا صح عند السلف ومن اتبعهم ان يقال عن الفاسق الملي ليس بمؤمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يكون ذلك نفيا لجميع اجزاء ايمانه فان الايمان عندهم وان كان هو لفاعل امور واجبة فاذا انتفى بعضها انتفى الايمان الواجب الذي به يستحق الجنة وينجو من النار ولم ينتف جميع اجزائه الايمان بل قد يبقى معه بعض اجزائه الذي ينجو بها من النار بعد دخولها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فان الايمان عندهم ينقص ويزيد بل هو كالكلية كما انه قد يزيد على ذلك الواجبات بالطاعات فلهذا قالوا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون او سبعون شعبة افضلها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان ومن خالفهم من الخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية فانه عندهم لا ينقص الايمان ولا يزول بالكلية فلهذا منهم من اذا مرتكب متوعد بالعقاب اخرجه من الايمان جميعه ولم يعطوا الصلاة والحج وغيرهما من المركبات التي يتناول اسمها كلها كما انها واجباتها قد تزول بعض واجباتها كالايمان ولان اصل الاسم والذي عبادة واحدة فكيف الايمان الذي يدخل فيه كل طاعة فاذا قلنا ليس بمؤمن دل على انه زال بعض ما يجب من الايمان لا على انه زال كله كما يقوله هؤلاء وكذلك اذا قال الشارع من فعل كذا فليس منا اقتضى ان وجه عاقبته للحقيقة وفي

لا ينفي الجنس صح

المنفي

ومستحبا تهاو

الايمان الواجب التي يستحق به الثواب دون العقاب لا يقتضي خروجه عن جميع احزاء
الايمان كما يقوله الخوارج والمعتزلة ولا يستحق به التخليد في النار حتى يقال معناه ليس
مثلنا وليس من خيارنا كما يقوله المرجئة والجهمية فانه كان انفي مقابلة الاثبات
الا اثبت المثبت نفس العموم فقه النفي كما في قوله الست هذا كله فقال الناني ما الست
هذا كله وان اثبت الحكم للمذكور بصيغة العموم كان النفي نفيا لذلك الحكم المذكور بصيغة
العموم فاذا قال جاء القوم قال الناني ما جاء القوم ثم هنا للمتنازعين احتمالان اما ان يقال الناني
في اثبات الحكم للمذكور بل ولم يتعرض لنفيه عن بعضهم كما بالثبات والنفي بل في عين ما اثبته
اثبت فيعلم انه حكم انه لم يعم المذكور بل يجيء ويكون بعضهم مسكوتا عن نفيه واثباته
واما ان يقال بل في العموم وافاد بطريق المفهوم ثبوت البعض فهذا لا يكون اذا كان الناني
اثبت العموم كالقسم واما ان يقال في الحكم من كل عين اثبته له ونافض الاثبات العام
بالسلب العام فهذا الاحتمال والاول هما القولان المذكوران في المسئلة واما ان يقال سلب
الحكم سلب عاما او سلب هو سلب العموم فقط فهذا لا يكون الا في مواد مقيدة ومع القرينة
بل يقال سلب الحكم سلبا عاما او سلب الحكم العام الذي اثبته المثبت كالاسلب عمومه
فقط لكن يقال ليس في نفس الامر الا السلب العام او سلب العموم اذ سلب الحكم العام اما
ان يكون مع العموم في السلب او لا معه فان كان مع العموم في السلب فهو القسم الاول
وان كان بلا عموم في السلب فقد سلب عموم السلب وهذه المسئلة تشبه الاستثناء
ما الاثبات والنفي هل هو لاثبات القيض او وقع الحكم والاقوى في عامة الكلام اذا
لم يكن فيه قرينة يقتضي ان المراد رفع العموم وهو سلب العموم فان المراد عموم
السلب والنفي وذلك لان اغراض المتكلم عن ذلك لا يكاد يقع فلا بد ان يقصد المتكلم
احد الامرين وسلب العموم فقط لا بد له من قرينة في النفي كما انه لا بد له من قرينة
في الاثبات فيبقى النوع الاخر وهو انه نفى ما اثبته اللفظ الاول والاول اثبت الكل والناني
نفى الكل وهذا ايضا يوجب التفاوت بين الاثبات والنفي فانه اذا كان الاثبات
يثبت الحكم لكل واحد فالنفي ينفيه عن كل واحد والا لم يكن النفي قد نفى ما اثبته
الاثبات وهذا واضح فان الاثبات اثبت حكما حاصلا للجميع فلا بد من رفع هذا
الحكم ولا يرتفع الا برفعه عن الجميع كما قيل في نفي الجنس فان الحكم الذي اثبته
الاثبات هو جنس فاذا قلت قام القوم اثبت جنس القيام للقوم انهم كما قالوا
النكرة في سياق النفي تعم وحمل في ذلك نكرات الاسماء والافعال فاذا قال لا يقتل

مسلم بكا فرعم كل نوع من انواع القتل كما عم كل مسلم وكل كافر والفعل نكرة مطلقا
سواء كان فاعله ومفعوله نكرة او معرفة فاذا قيل جاء القوم او اسلموا فقيل ما جاء او لا
اسلموا كان المنفي هو الفعل الذي هو نكرة والنكرة في النفي تعم وهذا بحجة جيدة بينة
والمفهوم في الاستعمال في الكتاب والسنة وكلام العرب يوافق ذلك والواقع يصدقهم
ولذلك لما حرم الله الدم والخمر والربا وغيره لذلك كان تحريما لافراده ولذلك الرجل اذا قال
لابنه لا تكلم هؤلاء او لا تجالسهم او لا تأكل هذا الطعام او لا تأخذ هذه الدراهم
فهم جميع الناس من ذلك القوم ولذلك لما قال والله لا اكلم هذا الرغيف
او هذا الطعام او لا اضرب هؤلاء او لا اعتدي عليهم فهم جميع الناس من ذلك
القوم وسببه والله اعلم ما ذكرناه من ان النكرة التي لا تقتضي الا بانتفاء جميع
افرادها فاما اذا علم سبب اليمين وعمومه فذلك يكون عموما من جهة فهم اللغة
وهو عموم مقتضى هذا يقتضي في قوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
رفع المساواة من هؤلاء وكل واحد من هؤلاء هذا في نفي العام المطلق واما
النفي المبين فيه القوم مثل ان يقال ما جاءني احد او ما جاءني من احد من هؤلاء
او ما جاءا هذا او كما هذا فهذا الاسلوب الذي قصد به نفي القوم فقط كما يريد فيه ومثل
هذا يساوي هذا في كل شيء فيقال ما يساوي بين شيء اذا بين هذا فانما المعلوم
ان احدا لم يثبت لله مثلا مطلقا ولا كفوا مطلقا ولا سميا مطلقا فلم يقل احد
من بني آدم ان للباري سبحانه من يساويه في جميع صفاته وافعاله فهذا اصل
والاصل الثاني انا قد قدمنا ان الند والمساوي والعدل اذا اطلق في جانب الله
فانما يراد به من جعل لله ندا في بعض الاشياء او جعل له عدلا في بعض الاشياء كقوله
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله انا كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وقول
النبي صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله ندا وهذا كالذين جعلوا لله شركاء اما شركوهم
معه في بعض الامور واما ان يجعل لله شريك مشترك في جميع خلقه وامره وهذا
لم يقله احد لهذا قال ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من
شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي كخيفة
بعضكم بعضا وآخر انكم لا تجعلون هذا لكم شركاء كما فكيف تجعلون بعض ملوكي
شركائي وكانوا في تلبيتهم يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما

لعله
له

ملك ولهذا نفى سبحانه قليل الشرك فقال فلا تدعوا لله اندادا وانتم تعلمون وقد لا يكون
مثقالا ذرة في السموات ولا في الارض وما له فيهما من شرك ففي نفيا عاما لمسمى شرك
نكرة في سياق النفي يبين ان الشريك المنفي عنه من جعل شريكا له في ادنى شيء من
ملكه ففي الشريك في الند والعدل فاذا كان الشريك في الند والعدل وغير ذلك في
حق الله انما هو اسم لما اثبته الكفار ولهم لم يثبتوا ذلك الا في بعض الاموال التي
جعلوها وثنت اطلاق هذه الاسماء في الكتاب والسنة وغيرهما اثبت لغيره منفية
فما لا نفي في شيء اوما واة في شيء اوشاركه في شيء علم انه مسمى العدل والند والشريك
في حق الله مطلق ولا يوجب المساواة في كل شيء بما تناول ما اوتعيت له المساواة في اي
شيء كان وسبب ذلك ان هذه المسميات ليس لها حقائق خارجية فان الله تعالى
ليس له في نفس الامر من يصلح ان يكون عدلا او شريكا او كفوا او ندا ولكن لما صار في بني
ادم وغيرهم من يفعل ذلك في الخلق علم انه يعدل به بعض خلقه في بعض الاشياء في
ذلك فالنفي هو لما في نفس بني ادم ويلزم من نفي ذلك في الند العام لكن
ذلك لم يحتج الى نفيه ابدا الا ان احدا لم يثبته وليس له مسمى خارجي والاسماء
انما توضع للصور الذهنية او للحقائق الخارجية فاذا كان المماثل لله من كل وجه
ليس له وجود خارجي ولا اثبته احد في ذهنه واعتقاده لم يحتج ان يجعل له
لفظ يخصه ولكن هو ينفى عن الله بطريق الاولى واجد في العموم او بطريق دلالة
التضمن والتبعية فتدبر هذا فانه موضع تتزين فهمه اقلنا ان نفي الشبه والمثل
والند والكفو والشريك عن الله يقتضي نفي ذلك في كل الامور فليس لله شبه في شيء من
الاشياء ولا مثل في شيء من الاشياء واما قولنا بين الوجود بن فنه مشترك وهذا يقتضي
ان يكون وجوده مشاركا لوجود غيره وهذا الفظي اصطلاح ليس هو الشرك المذكور
في القرآن فان القرآن انما ذكر ان في الموجودات من يكون شريكا لله فجاء سبحانه
من خلقه وامره وعبادته وحده لا شريك له ولم ينف ان يخلق هو سبحانه مخلوقات
ويجعل لها صفات والها اسمي باسماء توافق اسماءه فيعقل الذهن ان بين المسميين
قدرا مشتركا وذلك القدر المشترك ليس له مشاركة في شيء موجود اصلا في
خلق ولا امر ولا عبادة وانما هو في اعتباره وهي كما يشارك اسمه اسم بعض عباده
في بعض حروفه فلا اشتراك بينه وبين عباده في بعض حروف الاسماء التي تقال بالحان
وليس هذا شركا في حقيقة موجودة اصلا من نفسه وفضله فانه الذي

خلق الانسان علمه البيان وهو الذي بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له ما شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا وقال قل ما شاء الله
ثم شاء محمد واثبت الحرف المشيئة في مرتبة العبودة الا في مرتبة الماهية لذلك المخلوق
لما اعطاها من فضله الوجود العيني كما قال خلق خلق الانسان من علق علم بالقلم
فضله العلم بها والتعبير عنها كما علم العلم به والتعبير عنه باسمائه فكان وجودنا
وحقايقنا من فضله كذلك علمنا بانفسنا وتعبيرنا عن علومنا تابع للعلم به والتعبير
عن علمنا به واسمائنا من اسمائه كما روي الربيع بن انس عن المسيح عليه السلام قال
يتكلمون باسمائه ويتقلبون في نعمائه ويكفرون بالايه فقد تبين ان الله تعالى ليس
له مثل ولا كفو ولا سمي بوجه من الوجوه وتبين ان ما اثبت له من اسماء لله في بعض
الامور مثل ما ينفى عنه من المحسة هو فضله او كفوا له ومثل من طلب من
المعطلة ان يكون له جنس من المخلوقات فهو كما هو طلوب كلام وليس في هذا هو ايات
الله ما يوافق قول احد من هؤلاء ومن ادعى ان في الكتاب والسنة ما يدل ظاهره
على التجسيم والتشبيه فقد افترى على كتاب الله وان وصف الله بذلك فقد افترى
على الله فالمشبه الممثل لذلك مفتر على الله وعلى كتابه والمعطل المتاول للكتاب
الله طالما ان ظاهره كذلك مفتر على كتاب الله بل يجب ان يبين ان هذا ليس هو
ظاهره بل فيه نصوص كثيرة دلت بالعقول البصائر وتلت بالسمع على تنزيه الله عن
مماثلة المخلوقات بوجه من الوجوه فان قيل قد تقدم تصفحكم لاسنة الا طائفة
مثل قوله ليس كمثله شيء يجاب عنه من وجهة الجواب بعد الاستفسار هو
يمنع المقدمة الاولى اذا فسر بجسم مما ذكرناه من المعنى المنفي بالنص والعقل وادعى
انه ظاهر الكتاب والسنة فان هذا لم يدل ظاهر الكتاب والسنة وهو ان قال ظاهر
النصوص ان صانع العالم متميز عن المخلوقات بائن عنها وان ذاته وحقيقته فوق
حقيقة المخلوقات وذواتها بحيث يرفع الناس ابصارهم وايديهم اليه وتعرج
الملائكة والروح اليه وعرج بالرسول اليه وتصعد ارواح العباد وان الناس يمكن
ان يروه يوم القيمة بابصارهم فوق رؤسهم ويشيرون اليه بابصارهم وايديهم وانه
فوق الامكنة كلها وانه خلق آدم بيديه التي هما اليدان وانه استوى فوق العرش
فانه تقع عليه وعلا عليه وذاته فوق ذات العرش وعرفه وانه ذات حقيقة ليس
عدما ولا شيئا ولا حيا لا بل حقيقته اعظم الحقايق وان كان لا يعلم ما هو الا هو

ولا يبلغ قدره غيره ونحو ذلك فان قال هذه المعاني وما اشبهها هي ظاهر النصوص
قلنا هذا مسلم لكن هذه المقدمة الثانية وهو تركك هذا مشتق واذا اسماء من سماه
تشبيها وتجسيما لكن تحريم تسميتهم له بهذا الاسم لم يكن موجبا لتركه ما دل
على الكتاب والسنة فوجب تركه ما علم بالفطرة والعقل واجماع السلف وائمة
المخلوق اهل العلم والايمان فان هذا الاسم ان لم يكن مطابقا للمسمى كان كذبا
كتسمية قريش للنبي صلى الله عليه وسلم مذمما وتسميتهم له شاعرا وساحرا ومجنونا
ونحو ذلك مما يحدث بينه وبين المسمى به من الاشتراك في الاسم من عوام الناس الرسالة
جعلوه شاعرا للطائفة التي بين رؤس الاي ومجنونا لخروجه عن عقلهم وعادتهم
وساحرا لقوة تاثير كلامه في نفوس المستمعين فكذلك هؤلاء اذا سموا هذا تشبيها
وتجسيما لما فيه من اثبات حقيقة الرب وحقايق اسمايه وصفاته التي توافق
لفظها لفظا يوصف به العباد لم يضر ذلك اذا كان الله في نفسه ليس هو من جنس
المخلوقات ولا هما تماثلان في شئ من الاشياء وان كان هذا الاسم مطابقا لمسماه فانما يكون
مذموما اذا علم ذمه بالشرع او بطلان المسمى بالعقل وليس في كتاب الله ولا سنة
رسوله ولا قول احد من سلف الامة ذم المجسم حتى يكون الاسم مذموما في الشرع
وثبت معناه في حق الخصم ولا ايضا في الكتاب والسنة ولا لفظ من الاية ذم المشبه
بهذا التفسير بل الذين ذموا المشبهة من سلف الامة كانوا مثبتة للصفات وكانوا
لفقا انما اشتد ما ذموا التشبيه المذموم عندهم هو المعنى الاول الذي ابطله المثبتة
ومنعوا دلالة النصوص عليه فاصله انما لفظا التشبيه فيه اجمال فهو مذموم كما ذمه
السلف من ذلك وليس هو مذموما بالمعنى الذي ينفيه نفاة الصفات وكذلك لفظ التجسيم
في كلام المتاخرين لكن معذرة ان ليس ذكر في كلام السلف لا بنفي ولا باثبات بخلاف
ذلك اللفظ فانه ذكر بالامرين في كلامهم فان احد المناهج المعترض بنفي هذا المعنى
بما يذكره من يحكي الفقلية تتكلم معه في ذلك وبين له انما ينفيه النفاة من هذه المعاني
التي اثبتها النصوص السنة وفطرت عليها العقول الايمانية لا تنتفي بما يذكرونه من
الشبه القياسية بالفاظ مجملة تظهر حقايقها عند الاستفسار كما يقال لمثل
هؤلاء النظار لعوض زيد اذا تحكي الفارسي اترين تحتك ام حمار وسنعود ان شاء الله
الى تكميل هذا المقام فان المعترض لما اجمل ما ذكره من تحكي الفقلية التي بها يدفع موجب
الكتاب والسنة لم يتبين الطريق الى وجه بيان مسالكها بالمنافاة بعد الاستفسار

احد

الثبوتية

وبعده فصل فيما هو اقوى في الفضل منها عند النظار لعظم سلامة القرآن و
الحديث عن تحريف الغالين والتحاق المبطلين وتاويل الجاهلين وبين الله ليس ظاهره
الكفر ولا الضلال كما يلزم حزب المعترض الجهل والضلال وان الرسول اهمل اصول
الدين وبيان معرفة رب العالمين كما يقوله طوائف من المعطلين وان الرب مشبه
بالجسم والموات كما يصفه به النفاة وان السلف الذين هم خيار القرون كانوا امين
كما يلزم به طوائف من المتكلمين ولا حول ولا قوة الا بالله ونحن نتكلم على التفصيل
في مواضعه ان شاء الله تعالى
امين

نقل عن شيخ الاسلام ابن تيميه رضي الله تعالى عنه انه قال اني اعرف من يخاطبه الشيطان
بما فيها بل امنافع بما فيها وانما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ومنهم من يخاطبه
الجن في الشجر ويقول هنا ملك يا ولي الله فيبرا الشخص عليه اية الكرسي فيبرء ومنهم
من يقصد صيد الطيور فتخاطبه العصافير وغيرها فتقول خذني حتى يأكلني الفقر
ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الانسي ويخاطبه بذلك انتهى كلامه رحمه الله
وقال الشيخ شمس الدين بن المنجى رحمه الله تعالى وسمعت شيخنا العلامه ابن قاضي
الجبل قال سألت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيميه فقلت له يا سيدي هو المشايخ بعضهم
اولياء لهم مكاشفات وخرق العادة بخلاف العلما فقال الشيخ مكاشفة علمهم بما يجوز
وما لا يجوز في حقهم بالرسول صلى الله عليه وسلم واحواله واحوال الصحابة رضي الله عنهم
فهذا هو الكشف لو سألت الواحد من اولياء عن مسئلة في الاستخارة بعضها او نحو هذا لكان
الشيخ تقي الدين له من المكاشفات الرحمانيه ومنها انه كاشف العلامه ابن قاضي الجبل
لما اتاه بعض عليه الرويا التي راها له فقال العلامه ابن قاضي الجبل كنت في حدود اشغالي
عند الشيخ رضي الله عنه فرايت في بعض الليالي في النوم وكانه الناس يقولون النبي صلى
الله عليه وسلم قاعد في مرسة الشيخ ابي عمر فبادرت اليها واذا النبي صلى الله عليه وسلم
قاعد في المحراب وحوله الصحابة رضي الله عنهم واذ شيخنا ابن تيميه رحمه الله جالس الى
جانبه والجميع حلقه واحده والشيخ رضي الله عنه يدرس والجميع يستمعون له فعزمت
بذلك فرحا شديدا فاستحييت ان اجلس بين القوم فجلست خلفهم اسمع فيقا
يتكلم فمنه ما افهمه ومنه ما لا افهمه الى ان فرغ فاما فاقبله النبي صلى الله عليه وسلم بين
عينيه فرايي سمعت بعض الصحابة يقول لبعضهم لبعض ما خالفه في مسئلة والله اعلم
فاستيقظت ولا اعلم اني فرحت وخاطت اسد مني بهذه الرويا فاصبحت فنزلت الى الشيخ
فاذا الخلق عنده والناس يزدحمون فوقفت قرابي فقال ادخل بسرطان كل من راي
رويا لا يقصها علينا فوق الله العظيم ما كان اطلع عليها احد من خلق الله ولم اقرها لاحد
قلم استغ بنفسي في ذلك اليوم ومات ولم اقصها عليه انتهى كلامه رحمه الله تعالى ونفعنا
به في الدنيا والاخرة وللمسلمين وتبعثه الاخر في العبد الفقير الراجي الشفاعة سيد الانام
عليه افضل الصلاة والسلام عبد الغني بن خليل القطبي الحسيني المقدسي غفر الله له ولوالديه
ولمن نظر في هذا الكتاب ولاهله ولاولاده وللمسلمين بالمغفرة وذلك في اليوم الثامن عشر
من شهر صفر سنة ثمانية وعشرين وماية والف من الهجرة النبويه على صاحبها افضل الصلاة
والتحيه ثم ذلك يقول ٢ اه

وحسن توفيقه

والله اعلم

النهاية

في العادة العامة كما في عادة الفقهاء وعلم من عقائدهم ودينهم مع ما علموه من وجوب ذلك
عليهم في دينهم فاذا كان هذا يوجب الرجوع الى الصحابة والتابعين فكيف بالاحاديث الصحيحة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الطريق الثاني فمن وجوه احدها
ان يقول لم نرجع الى الصحابة والتابعين في نقل معاني القرآن وما لها لم يرجع اليهم في نقل حروفه
والى لغتهم وعاداتهم في مخاطبهم فلا بد ان يرجع في ذلك الى لغة ماخوذة عن غيرهم لان فهم
الكلام موقوف على معرفة اللغة وغايته ان يبدا شيء عبر بها غيرهم فيسمع لغتهم ويعرف مقاصدهم
ويقيس معاني الفاظ القرآن على معاني تلك الالفاظ وهذا انما يصح اذا سمع اللفظ من كلام
العرب وهذا وسلم في القرآن ايضا من احتمال المعاني المختلفة المجاز والمشترك والا فمتى كان اللفظ
من احد هذا وبين الاخر الا على معنى فخبر بطريق الاشتراك والمجاز لم يكن المراد من احد المتكلمين
به مثل المراد به من المتكلم الاخر فهذا يتبه فيه القياس وهو موقوف على تحاد معنى اللفظين
ثم من المعلوم ان جنس ما دل على القرآن ليس من جنس ما يتخاطب به الناس في عاداتهم فان
كان بينهما قدر مشترك فان الرسول جاءهم بمعان غيبية لم يكونوا يعرفونها وامرهم بافعال لم
يكونوا يعرفونها فاذا عبر عنها بلغتهم كان بين ما عناه وبين معاني تلك الالفاظ قدر مشترك ولم
يكن مساويا لها بل تلك الزيادة التي هي من خصائص النبوة لا يعرف الا منه فعلم ان عامة من
ياخذ معاني القرآن من اللغة التي سمعها من العرب العربا وبالشرع فيها ان يكون قياسا قياسا
يحتمل الصدق والكذب وما فاته من العارف اعظم مما ادركه بالجامع وهذا برهان واضح ولهذا
كانوا يقولون ما ذكره عبد الرزاق في تفسيره عن ابن عباس انه قال التفسير على اربعة وجه تفسير
تعرفه العرب من كلامها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله
ومن ادعى علمه فقد كذب الوجه الثاني ان الدرجة الثانية ان تشرح اللغة من نقل الالفاظ
عن العرب نظما ونثرا مما لم يتفق في نقل الحديث من الافات فهو هنا اكثر وهذا امر معلوم من كان
خبيرا بالواقع فيكون نقل الفاظ اللغة مع معرفة مراد هم من تلك الالفاظ يرد عليه اكثر مما يرد عليه في
مراد الرسول لان معرفة مراد الرسول توقفت على فهم الرواي وصدقه الله فهو محفوظ على
حفظ الله له بالعادة العامة وبالخاصة اكثر من معرفة مراد شاعر مادح او راث او هاج او
او واصف ناقة او امراة او فلاة او مفتخر الوجه الثالث ان الدرجة الثالثة ان يسمع اللغة
ممن يسمع الالفاظ وكذا لم يفهم معناها من العرب كالاصمعي فيما سمعه من الاعراب وذكر
انه فهم معناه ومن هذا الباب كتب اللغة الذين يذكرون فيها معاني كلام العرب بالفاظهم ط
المصنفين ومعلوم ان هذا يرد على اكثر ما يرد على من سمع الكلام النبوي من صاحبه

وقال

وقال انه فهم معناه وبينه لنا بعبارته الوجه الرابع ان يقال له كلامك هو كالذين ذكرت
انهم سمعوا كلام العرب ومن المعلوم انه يرد على هذا من الاسولة اكثر مما يرد على
نقل الحديث الوجه الخامس ان الدرجة الخامسة ان يعلم اللغة بقياس خوي او بتعريبي
فيدخل تخصيص لمعارض راجح وقد يكون فيه فرق لم يتفطن له واضع القياس فالقول في
ومن المعلوم انه هذا يرد على اكثر مما يرد على من نقل المعاني الشرعية من القواعد
الكلية التي وضعها الفقهاء واذا كان الامر كذلك فمن لم ياخذ معاني الكتاب والسنة من
الصحابة والتابعين ومن اخذ عنهم مثل من لم يطلع اصلا الا ما يرد عليه من كان
اضعف في ما يرد علي هذه الطريق فلا يجوز له ترجيح غيرها عليها فلن تكون احدا من
لازما له اما ان يستدل الذي ادى بالذي هو غير وبعيد عن الطريق التي فيها من العلوم
اليقينية والامور الايمانية والاعتقادات الراجحة والظنون الغالبة ما لا يوجد في
غيرها الى ما هو دونها فان كلا منهما يستدل بالبعض شكا وبالظن الراجح وهما يستدل
بالايمان القوي والهدي صنفا له وبالعلم جهلا وبالبيان عيا وبالعدل ظلما وبالصدق كذبا
وبالايمان كيت الله وكلما له تخريفا عن مواضعها وايمانا يفرض عن ذلك كله ولا يجعل
القرآن هجينا معجمه ما وقد قال الله تعالى انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون فلا يعقله
وقال افلا يتدبرون القرآن فلا يتدبره وقال ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب فلا يتدبره
ولا يتذكر وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فلا يكون من
العالمين العاقلين لها واذا سلك هذا المسلك استطار شره وتفرق ضرره فيلزم
لتطبيل معاني الكتاب والسنة وقهر الرسالة اذ الرسول الذي لا يبين بمنزلة عدم
الرسول والكلام الذي بلغه الرسول ولم يعقل معناه بمنزلة من يخاطب في جدار الاصوات المسموعة
التي ليس فيها حرف مبينة للمعاني وقد قدم الله تعالى من كان تحاله في كتابه هكذا وجعلهم
كفار ابمنزلة الاموات وحدس سمع كلامه فعقله ووعاه وجعل ذكر صفة المومن الحي فقال
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقال
تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا وقال تعالى افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها وقال تعالى انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله
ثم اليه يرجعون وقال تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي وقال تعالى ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقال تعالى ومنهم من يستمعون اليك حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا

اهوائهم وقال تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا واذ كانوا
من عدا من فسر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين القرآن فاحد الامرين
لازم له اما ان يعول الى تفسيره بما هو دون ذلك فيكون محرفا للكلم عن مواضعه واما ان يبقى
امر كلام الله يسمع من كلام الله من رسوله الا الصوت المجرد الذي يشترك فيه البهائم وكا يعقله وكل
من هذين الامرين باطل محرم ثبت بهذين الطريق النبوية السلفية وبطلان الطريقة
التحريفية والامية فالتحريفية لها الجهل المركب والكفر المركب والامية لها الجهل البسيط
والكفر البسيط وقد ذم الله تعالى الطريقتين في القرآن فقال تعالى في الاولى افتطمعون
ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فهذه الطريق المذمومة التي سلكها علماء اليهود واشباههم في ان يحرفوا
كلام الله او يلتوون ليلا يحتج عليهم في خلاف اهوائهم فمن عدا الى نصوص الكتاب والسنة
فحرفها او كتمها فعنه شبه من هؤلاء كما تجد ذلك في كثير من اهل الاهواء كتم ما انزل الله
تعالى من الكتاب والسنة عمن يحتج بها على خلاف هواه فيقبل الكتب المسطورة عن
النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ويمنع تبليغ الاحاديث النبوية وتفسير القرآن
المنقول ولو قدر على منع القرآن لفعله وما ظهر من ذلك حرفه عن مواضعه بتاويل على
غير تاويله كما يوجد في الكتب يضعونها اما منقولات موضوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة والائمة فاكثر عند اهل الاهواء من الاثار المكذوبة ويقولون هذه منزلة من عند
الله تعالى اذ ما جاءت النبي فهو من عند الله ويضعون كلاما ابتدعوه او ارباب الشيوخ
ويسمونه مع ما وضعوه من المنقولات دين الله واصول دينه وشرع الله والحق
الذي اوجبه الله واكثرهم على ذلك اعواضا من مال او رياسة ففيهم شبه من الذين
قال الله فيهم فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ولا ريب ان غالبهم ليس مثل
اليهود اذ لا يكون الا من كان كافرا محضا لكن فيهم من الشبه بهم بقدر ما شاركوهم
فيما ذمهم الله تعالى عليه وقد يكون في الشخص او الطائفة بعض المذموم من الخصال
والافعال التي هي مما ذم الله تعالى عليه اهل الكفر والنفاق وان كان فيه ايضا ما يحمد
عليه من الايمان هذه صفة من حرف التنزيل او كتمه او استدل به ما وضعه

وابتدعه

وابتداعه واما المعرض عن الكلام في معناه بالكلية فقال تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الا اماني وان هم الا يظنون وكالاماني التلاوة والقراءة فهم لا يعلمون الا مجرد تلاوة وقراءة
بالسنتهم يحركون حروفه ويضعون حدوده علميا وعملا لا يعرفونها ولا يعلمون بها فهذه
اربعة امور ذمها الله تعالى تحريف ما انزله الله وكتمانه وليا بالسنتهم لينسب اليه ما ليس منه
والاعراض عن تدبر كلامه فمن الناس من يجمع الاربعة وهم رؤس اهل البدع واكثرهم الذين
وصفوا مذاهب تخالف الكتاب والسنة وجعلوها من دين الله واصول الدين او فروعه
التي اوجبها الله قولها واعتقادها وقالوا عن الله انه امر بهذا القول والاعتقاد وهذا
العمل والاعتقاد اخبارهم عن الله باعجب ذلك واعظم استحبابا عظم من مجرد اخبارهم عن ان
ذلك جائز عند الله اذ قد يجيء عن عند الله ما لا يجب عليه انه عمل لكونه منسوخا او لكونه خبرا
لا يجب عليه انه عمل وبخلاف ذلك ومخالفتهم للنصوص الكتاب والسنة ظاهر وبذلك كثيرا ما يقع
ما يحتج به اهل الايمان عليهم من الاثار الموضوعة والكتب المنقولة نقلا صحيحا فان هؤلاء
لهم حالان تارة يرون تحريف النصوص على وفق اقوالهم ويسمون ذلك تاويلا وتارة يردون
الاعراض عن تدبرها وعقلها ويسمونه فوضا فهم بين التحريف والامية منهم من يوجب
هذا ومنهم من يوجب هذا ومنهم من يستحب هذا ومنهم من يستحب هذا ومنهم من يوجب
او يستحب هذا الطائفة وهذا الطائفة او هذا في حال وهذا في حال وكثير من الناس لا
يجمع هذه الصفات الاربعة المذمومة بل يكون منها خصلة او خصلتان اما الامية فاما
التحريف واما الكتمان او غير ذلك ثم من كان مومنا لا يكون هذا حاله في جميع القرآن لكن
في بعضه او في كثير منه كما عليه طوائف من اهل الكلام ومن اتبعهم وزعما فعل ذلك
في اكثر القرآن كحال الفلاسفة من القرامطة والباطنية ونحوهم ثم اعلم ان طريقة التحريف
لا تسلك ابتداء لان تفسير الكلام بخلاف مقتضاه لا يقبله القلب الا بموجب بل سلكت
ابتداء طريقة الكلام والكتب المضافة الى الدين وليس منه وهو ما يسمونه المعقولات
التي هي المجهولات ويجعلون ذلك هو الاعتقاد واصول الدين التي امر الله بها والحكمة
الحقيقية والعلوم اليقينية التي ينبغي للفضلاء تحصيلها ويصدون الناس عن القرآن
بالطريقة الامية ويتفاضلون فيما بينهم بطريقة التحريف ولهذا يقرنون ان الادلة
اللفظية لا تفيد اليقين فان هذا يعني ما امر الله به من عقله وتدبره وتذكره والتعقل فيه
ويجعل الطريقة الامية حجة اذ كان ذلك لا يفيد علما ولا يقينا وطريقة التحريف تقابل فيها
الاحتمالات فانه اذا لم يكن اني اعلم بالمراد سبيل يعين الاعراض عن مراد القرآن وهي الطريقة

الامة قال الله تعالى وان هم الا يظنون ليس لهم بذلك من علم وما يجب ان يعلم ان من اعظم ابواب الصد عن سبيل الله والحاد في ايات الله والطعن في رسالة الله دعوى كون القرآن لا يفهم معناه ولا طريق لنا الى العلم بمعناه اذ لا سبيل الى ذلك الا الطرق الظنية ولهذا يسلك هذا الطريق من نافق تحت من المتكلمة والمتفلسفة ونحوهم فانهم اذا انسد عليهم باب الرسالة والاخذ منها رجع كل منهم الى ما يوجبه الشيطان المبين وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ثم القرآن اما ان يعرضوه فيكونون في معناه منافقين يظهرون الايمان بلفظه وهم بمعناه كافرون واما ان يعرضوا عن معناه فيكونون تاركين كما قال تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى والنسيان تركها والاعراض عنها وكذلك ترك استماعها وترك تدبرها وفهمها وترك الايمان بها والعمل بها كل ذلك من نسيانها وقراءة مجرد حروفها وحفظها وعجرد استماع مجرد صوت القارئ بها لا يمنع النسيان المذموم فلا بد من الايمان الذي يتضمن معرفتها والعمل بها هذا وان لم يكن واجبا على كل احد في كل آية على سبيل التفصيل لكن الايمان بالله واجب مجموع هذا على مجموع الامة لمن كان يرى ان الله الذي امر الله به ان تكون الامة كلها امة لا تعقل معاني الكتاب واما ان يكون فيها من يحرفه بالتاويلات المبتدعة فهو ممن يدعوا الى الاعراض عن معاني كتاب الله ونسيانها ولهذا صار هو لا ينسون معانيه حقيقة كما ينسى اللفظ فلا يخطر ببالهم المعنى الذي اراده الله ولا يتذكرونه وهذا نسيان حقيقي لمعاني كتاب الله وان كان فيهم من يحفظ حرفه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي والدارمي وغيرهما اوان يقبض العلم فقال زياد بن لبيد يا رسول الله كيف يقبض وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرئنه ولنقرئنه ابناءنا ونساءنا فقال ان كنت لاحسبك من افقه اهل المدينة اوليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما اغنت عنهم بين صلى الله عليه وسلم ان وجود الكتب المسطورة والحروف المسموعة المقروءة بالاصوات المسموعة لا تغني من العلم شيئا اذا لم يقترن بها فهمه وفقهه ومعرفته ولهذا قال عبد الله بن مسعود انكم في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه وفي رواية كثير فقهاؤه قليل خطباؤه كثير معطوه قليل مسايلوه وسيأتي على الناس زمان كثير قراؤه وخطباؤه قليل فقهاؤه قليل معطوه كثير مسايلوه فبين ان الزمان المحمود هو الذي يكثر فيه فقهاؤه معاني القرآن والخطباء الذين يقرأ القرآن ويتكلم بالخطاب بلا فقه فان ذلك مذموم وذكر هذا في نعت ابناء الدنيا ثم قال في نعت ابناء الدين المحمود كثرة المصلين وقلة السايل لا

كثرة

كثرة السايل وقلة المعطي فعلم ان ما اوجب ترك فقه القرآن فهو مذموم وتكفير بما اوجب تحريفه وتبديله واعلم انه لما حار من حرف من المنتسبين الى العلم كثيرا من معاني القرآن وحملوا ذلك هو وفقهه وفهمه ومعرفة معانيه في اصول دينهم وفروعه وفصولهم من الكلام الذي ابتدعوه والكتب الذي تبعوها بايديهم وجعلوها ماموما بها من عند الله او مامورا من عند الله كما هو كذلك وبراءة من هو صار اخرون من المومنين الذين علموا بطلان ما ابتدعوه وتحريم ما قالوه ويكتبون ينهون عن ذلك كما امر الله ورسوله وينهون عما ابتدعوه من التاويل الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه ويقولون هذا بدعة وضلالة ويسلمون بتاويلها هذه التاويلات وراي اولئك ان في هذه التاويلات من الفساد ما لا يقبله العقول والقلوب من الاختلاف ما يوجب الافتراق والشقاق وضعف اولئك المومنون عن تحقيق الايمان بمعاني القرآن اما في بواطنهم لما عارضوهم به من الشبهات واما في ظواهرهم لما قاموا به من الجادلات والمحادلات الخارجة الغريقان الى الطريقة الامية المتضمنة الاعراض عن معاني كتاب من القرآن وصار من يرى هذه الفرق والافتراق يصد قلبه عن تدبر القرآن وفهمه ومعرفة الحديث وعلمه واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول راسلمانا فقين يصدون عنك صدودا خوفا من تسبهات المنافقين التي يوجبها شياطين انسهم وجنهم الى قلبه وخوفا منهم في الظاهر وهذا الثاني يعذر واما الاول فلا يعذر اذ يجب على المومن الايمان في قلبه في كل حال ويكون في المنكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وليس بنكر المنكر بقلبه من لا يعرف انه منكر فالعلم قبل الحب والبغض والايمان بالقرآن لفظه ومعناه واجب ومحبة لفظه ومعناه واجبة وانكار ما خالفه واولى بالقلب واجب لكن يعذر المومن بخفاء القلب كما يعذر من عجز عن معرفته فهو كالعاجز عن حفظ حروفه وسقط عنه خطاب الايمان بذلك ويخاطب به العاجز دون المكلف لا يكاد يفهم مثل هذا ان يعلم اي الفريقين اولى بالايمان بالله ورسوله فعلى ان يكون مع اهل الايمان بحسبهما ولا حول ولا قوة الا بالله فان الله تعالى انزل كتابه ليعقل ويتدبر ويتبع ما هو اشرف من الالفاظ والكمال المقصود بالالفاظ وهو معناها كالارواح مع الاجساد والغلط بالمعنى اعظم منه بالروح ومن لم يعلم من الكلام الا لفظه فهو مثل من لم يعلم من الرسول الا جسمه ومن لم

انتهى

من الصلاة الاحركة البدن بالقيام والقعود والركوع والسجود ولهذا قال تعالى
ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الاية وقد روي في حديث ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال انما هلك بنو اسرائيل حين شهدت احبارهم وغابت
قلوبهم ولهذا قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
قالوا شاهد القلب غير غائب به ولهذا ذم العلماء الراسخين والمؤمنين الصادقين لما
اقتصر في اعجاز القرآن على ما فيه من الاعجاز من جهة لفظه او ايراده او اسلوبه
وقالوا هذا وان كان معجزا فنسبته الى ما في معانيه من الاعجاز نسبة الجسد الى
الروح ومحاسن الخلق الى محاسن الحلق وهو يشبه من عظم النبي صلى الله عليه
وسلم محاسن خلقه وبدنه وهو لعلم ما شرف الله به قلبه الذي هو اشرف القلوب
ونفسه التي هي اركى النفوس من الامور التي تحرز القلوب والالسنة عن كمال
معرفتها وصفتها كما قال بن مسعود ان الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب
محمد خير القلوب فاصطفاه لرسالته ثم نظر في قلوب اصحابه بعد قلبه فوجد قلوبهم
خير القلوب فاختارهم لصحبة نبيه واقامة دينه واظنه فيما وفي غيره فما راه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن وما راوه سيئا فهو عند الله سيئ وقال من كان
منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم بررهذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه
واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم وهذا
القدر الذي ذكرناه من ان المقصود بالقرآن معانيه لمن نزم المعرض عن معناه هو الجاهل
في نفسه والظهر معرفة من ان يحتاج الى بسط فاذا كان كذلك فمن اعرض عن معناه
بالكلية فهو معرض عن البر المقصود منه ومن اعرض عن معاني كثير منها فهو معرض
عن كثير منه فاذا كان يامر بذلك الاعراض ويرغب فيه فهو امر بالاعراض عن القرآن
وامر سيا به وتركه ومعلوم ان هذا كفر صريح واذا كان يقول انه ليس بمعرض عن
معناه ويتاوله على غير تاويله ويقول هذه معانيه وياتي بمعان تضاد معانيه فهو
منافق كاذب بمنزلة من يقول انا اومن بحروفه واني بكلام ليس هو القرآن وقال
هذا هو القرآن فهو منافق كاذب ولهذا كان اضر واخبث فان الاول بمنزلة الكافر
المعرض عن المسلمين والثاني بمنزلة المنافق الذي اظهر الكلمة وعمل في المسلمين ما
ينافي الايمان ولهذا كان مبدا هذه البدع الكبار مثل الرفض والتجهم ونحو ذلك

من

من منافقين زنادقة ابطنوا الكفر واظهروا الاسلام وحاربوا الحديث من غير وجه ان اخوف
ما اخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وائمة مضلون وهذه الامور الثلاثة تقع
في الامور الخبرية والعلمية جميعا فان الامور الخبرية قد يزل بعض العلماء فيها بالمتاول الذي
هو تفسير اية او حديث او في الحكم على مضمون ذلك باثبات او نفي يخالف مضمون النص
وهذا كثير وقد كان كثير من اهل البدع منافقين حقيقة يجادلون الناس بالقرآن ويستدلون
بالتاويلات التي ابتدعوها ويريدون بها بسهم القاسية بشواهد ذكر من غريب
اللغة ونادرها والاعمية المضلون من الامراء والعلماء والمشايخ والملوك الامرون بخلاف
ما امر الله به ورسوله والناهي عما امر الله به ورسوله والمخبرين بخلاف ما اخبر الله
به ورسوله فيهم الكذب في خبرهم والظلم في امرهم وعليهم ولهذا قال فيهم النبي صلى الله
عليهم وسلم في الحديث الذي رواه اهل السنن انه قال لكعب بن عجرة اعيذك بالله من
امارة السفهاء قال وما ذاك يا رسول الله قال امراء يكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم
بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم ولن يرد علي الحوض ومن لم يدخل
عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فاولئك مني وارد عليهم الحوض فهذا
الكلام قليل من كثير مبين به ان من عدل عن تفسير الصحابة وما رووه عن النبي صلى
الله عليه وسلم في ذلك ما سلكه الاخرى الى فهم القرآن او معرض عن الجميع فلا بد له من الجهل
والضلال والافك والمحال وهو على شفا خطر هار يوديه الى الكفر والنفاق فان اظهار هذه
في نار جهنم وصار من اهل الحراب والشقاق ومن شاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
ولهذا جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او
تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة
عذاب عظيم ولهذا ما زال كل ذي عقل ودين يردون علم معاني الكتاب والسنة الى العلماء الموقفة
فيه الذين تلقوه طبقة بعد طبقة تيسيرا محفوظا كما قال فيهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب في
خطبته التي رويناها عنه كميل بن زياد احفظ ما اقول لك القلوب اوعية فخيرها اوعاها
الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت
تحرس المال العلم يزكو على العمل والمال ينقصه النفقة العلم حاكم والمال محكوم عليه مات
خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر واعيانهم مفقودة واثرهم في القلوب موجود
اه اه ان ههنا واشار بيده الى صدره علما لو اصبت له حملة بلى اصيبة لقنتي غير مامون

هذه القطعة من جواب اسئلة سئل عنها ابن تيمية في العقائد واصول الحديث

عليه يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا يستظهر بدين الله على عباده ويحجه على كتابه وسنة
لاهل الحق لا صبر له في احتماله يتعجل الشكر في قلبه بأول عارض من شهة لاذاع
ذاك فنهومه بالذات سلس القياد للشهوات ومعرى بجمع المال والادخار اقرب شيء
الانعام السائمة لذلك يموت العلم بموت حامليه قال اللهم بلى لن تخلوا الارض من قائم
لله بحجته هذا لفظ الحديث الذي رواه اهل العلم بذلك اللهم وامثالهم اما ظاهر مشهور
غائب مستور فيما كاد يذب الراضة الذين بزعمون انه اشار به الى ما لا حقيقة له
وليست هذه الزيادات في شيء من الروايات الا في مثل فهم البلاغة الذي اكثر وضوحا
واخترعه الشاعر المعروف بالرضي وتمام الحديث اولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله
قدرا فهم بهم العلم على حقيقته الامر فما استلزموا منا استوعره المترفون واستوحش
منه الجاهلون فمحوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اما سمعوا الى ربهم
ففي هذا الحديث ان امير المومنين فسر حملة العلم المذمومين بثلثة اصناف المشبع الفاجر
الذي ليس عنده امانة وايمان يبظر الحق الذي جابه الكتاب ويغمط الخلق بجادل في ايات
بغير سلطان اتاه ان في صدره الا كبر ما هو ببالغه وهو لا مثل المتفلسفه والمتكلمة الذين
يمارضون القران ويعتدون على اهل الايمان والصنف الثاني المقلد المنقاد بلا بصيرة
ويقين مثل ما يوجد في كثير من العلما والفقها الذين لهم ذكا وصحة ايمان وانما ذكر الثلثة
لان النفس اما ان تكون ذو بنها تارة بالجهل وتارة بالظلم اما بالقوة الشهوانية وامابالقوة
الغضبية فهولا اهل الاعتدا في القوة الغضبية بالكبر والطعن هم القسم الاول والجهال
هم المقلدون وهم القسم الثاني واهل الشهوة هم القسم الثالث ثم ذكر خلفا الرسل القائمين
بحجج الله وبيناته فقال لن تخلوا الارض من قائم لله بحجته كما يبطل بحجج الله وبيناته
ويعلم ان الله تعالى انما اقام الحجة على خلقه برسله فقال ليلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل فلم يبق لهم بعد الرسل حجة وانما يقوم الحجة في مفهيم ومما فهم ممن بلغ
عنهم كما قال ليبطل بحجج الله وبيناته ولا يقوم الحجة حتى يبلغ اللفظ والمعنى
جميعا او تبليغ اللفظ المجرد الذي لا يدل على المعنى المقصود لا يقوم به حجة بل وجود
كعدمه فالقائمون بحجة الله هم المبلغون لما جاءت به الرسل لفظا ومعنا ولهذا قال ليست
وهي ما بين الحق ونعتهم وصفهم فقال هم الاكثرون عددا الاعظمون عند الله قدرا فهم
العلم على الحقيقة الامر فما استلزموا منا استوعره المترفون واستوحش منه الجاهلون
هولا كم من سوي هولا جاهل او مترف والمترف جاهل فيستوحش

مما